نور الحياة

سلسلة دراسات فى كلمة الله

الكتاب التاسع

فى السلوك المسيحى (٤)

رفاق الايمان وخصومه

دكتور جميل نجيب سليمان

الكتاب التاسع

في السلوك المسيحي (٤)

رفاق الإيمان وخصومه

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـم الكتـــاب : نور الحياة
الكتـــاب التاسع : في السلوك المسيحي (٤)
المـــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان
gamilnsoliman@yahoo.com
www.gamilsoliman.org
الطبعـــــــــة : الأولي ٢٠١٢
الناشـــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي
ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤
المطبعـــــــة : مدارس الأحد، ٧٠ شارع روض الفرج
رقم الإيـــداع : ٢٠١٢/١١٠٣٣
الترقـــيم الـــدولي : 977-5334-85-3

مثلث الرحمات

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ (١١٧)

(١٩٧١/١١/١٤ – ٢٠١٢/٣/١٧)

المحتويـــات

□ **رفاق الإيمان وخصومه** ٩

□ **رفاق الإيمان** ١٣

١ – **الرجاء** ١٥

+ بين الرجاء البشري والرجاء المسيحي ١٦

+ موضوع الرجاء ١٩

+ غاية الرجاء وطبيعته ٢٢

+ الرجاء بين الإيمان والمحبة ٢٧

+ الرجاء بين العهدين ٣١

+ الرجاء ضرورة أساسية في الحياة الروحية ٤٠

٢ – **الفرح في التجارب والآلام** ٤٧

٣ – **الصبر** ٥٣

+ الصبر قرين الإيمان ٥٤

+ الصبر قرين الرجاء ٥٨

+ الصبر قرين المحبة ٦٠

+ الصبر في العبادة والخدمة ٦١

+ الصبر في التعامل مع الآخرين ٦٣

+ الصبر في التعامل مع السلطات ٦٥

+ الرب طويل الأناة ٦٧

+ صبر المسيح ٧١

+ صبر القديسين ٧٤

٤ – **التوبة** ٧٧

٥ – **الاتضاع** ٨١

٦ – **عمل الرحمة** ٨٥

٧ – **الشبع والاكتفاء** ٩١

□ **خصوم الإيمان** ٩٩

١ – **الرياء** ١٠٣
+ كلمة الله تدين وتحذّر ١٠٤
+ الرياء آفة العبادة والسلوك ١٠٦
+ الكتبة والفريسيون نموذج للرياء أيام المسيح ١١٠
+ إدانة الرياء في خدمة الرسل وتعليمهم ١١٣
+ رياء المجتمع ١١٨
+ بين المجاملة والرياء ١٢٠
+ خطورة الرياء ١٢٢
+ كيف ننجو من الرياء؟ ١٢٤

٢ – **الذات وتداعياتها** ١٣١
+ انكر ذاتك ١٣٢
+ نهوض الذات ١٣٤
+ الهم ١٣٦
+ القلق ١٣٩
+ الشك ١٤٥
+ الخوف ١٤٨

٣ – **حزن العالم** ١٥٧
+ عن حزن الموت ١٥٨
+ الحزن المقدس ١٦١
+ الحزن الرديء ١٦٤

٤ – **غلاظة القلب وقساوته** ١٦٩
+ عن قلب المؤمن ١٧٠
+ الكتاب وغلاظة القلب ١٧٢
+ المؤمن وغلاظة القلب ١٧٧

كلمة الى القارئ

في هذا **الكتاب التاسع** من "**نور الحياة**" نقدم إلى القاريء جـــزءاً رابعـــاً "**في السلوك المسيحي**". وكما أشرنا من قبل فليس غريباً أن تتعدد الأجزاء التي تتناول **السلوك المسيحي**، فالإيمان المسيحي، في البداية والنهاية، ليس كلاماً يُردّد آلياً، أو عقائد نظرية تحتويها الكتب لا القلوب، أو مباديء للتفاخر والإعجاب دون تفعيل؛ ووصايا الإنجيل ليست فقط للسماع أو الحفظ بالشفاه أو لتُزيَّن بها الجدران؛ كما أن أمور العبادة لن تُختزل في مجرد ممارسات شكلية أو فـــرائض وواجبات ثقيلة تؤدى كيفما اتفق جسداً بلا روح؛

ولكن الإيمان المسيحي هو طاقة كبرى تحتضن الحياة كلها وممارساتها، ويُترجم إلى انفعال قلبي وقناعة فكرية وأعمال تضرمها المحبة. وهكذا يتحول الإيمان إلى سلوك يجسِّد كلمة الإنجيل ويترفع عن ابتذال مباديء المسيح في تظاهر بالتقوى وتصرفات بالكلام واللسان وليست بالعمل والحق (١يو ٣:١٨).

وفي كل ما صدر من هذه السلسلة "**الكتابية**"، رغم تنوع موضوعاتها، فكلها يقرأ **كلمة الله**، ويفسرها، ويستشهد بها، ويستخدمها، ويحث على تفعيلها، أو يقدم تطبيقاً لها، أو يبرهن بها على عقيدة الكنيسة، أو يفتش فيها عن إجابة لما يصادفنا من معضلات في مجالات الحياة المختلفة. وسواء كان الكتاب يعـــرض "**لشخص الرب**" ولاهوته وخلاصه أو موقعه في **الكنيسة** ومركزه في **الخدمة**، أو يلقي الضوء على "**السلوك المسيحي**"، أو على "**شخصيات كتابية**"، أو يتناول "**قضايا إيمانية**"، ففي هذه كلها تكون **كلمة الله** هي المحور والوسيلة ومعرفتها والخضوع لها هي الغاية.

□ □ □

ويتناول هذا **الكتاب التاسع**، من مجالات السلوك، موضوعاً ذا وجهين: **رفاق الإيمان** مقابل **خصوم الإيمان**؛ أي **ما يقترن بحياة الإيمان** ويستدعيه من فضائل ترافقه وتشهد لأصالته **كالرجاء والمحبة والفرح والسلام والصبر والتوبة** وغيرها، وأيضاً ما **يضاد الإيمان** ويشوّهه ويزيفه ويطعنه متسللاً إليه بخداع إبليس، أو نافذاً إليه في أوقات الفتور أو الطياشة وتراجع المحبة وإهمال التوبة وعصيان الكلمة مثل: **الرياء، والذات** وتداعياتها من **الهم والقلق والخوف** وغيرها.

□ □ □

يخرج هذا الكتاب إلى النور والكنيسة تلملم أحزانها بعد انتقال **مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث**، الذي بذل نفسه في خدمتها لأربعة عقود. وافتقدت بغيابه المعلم والناسك وخادم الإنجيل والأب الروحي للملايين وصديق الفقراء وصاحب التأثير الكاسح في الداخل والخارج. وهي وقد استودعته مع القديسين في الفردوس تتوسل إلى رب الكنيسة أن ينعم عليها بمن يواصل رعايتها بطهارة واستقامة وبر.

كما أن بلادنا التي جازت فترة من الاضطرابات والفوضى الدامية، سقط خلالها مئات الضحايا من الشباب، وعانت الكنيسة من الاعتداءات، هدماً وحرقاً وقتلاً، تتطلع الآن، والشعب يختار رئيساً جديداً للدولة، إلى عهد تستعيد فيه سلامها وأمنها واستقرارها وتقدمها وريادتها، كما تتمتع فيه الكنيسة وشعبها بالسلام وتتدعم ثقتها في إلهها الذي هو سر قوتها وأمنها.

□ □ □

وإني أتوسل إلى الله أن يبارك في هذا الجهد المتواضع ويستخدمه لانفتاح القلوب والعقول على **كلمة الله** التي هي السراج المنير في طريق الحياة (مز١١٩: ١٠٥) والمرشد الأمين عندما تضيق بنا السبل.

رفاق الإيمان وخصومه

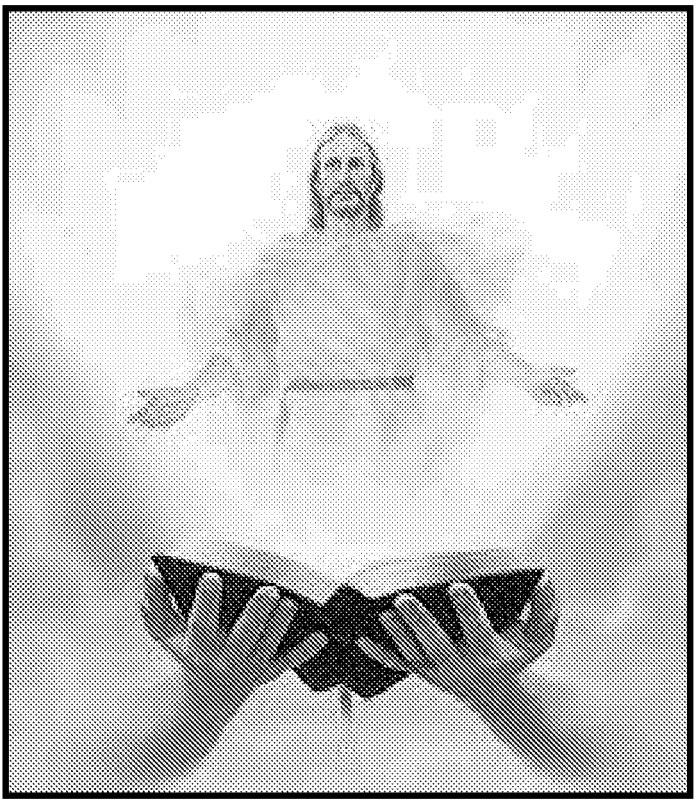

" في البدء كان الكلمة " (يو ١:١)

إذا كان **المسيح** هو حجر الزاوية في بنيان الإيمان (أف ٢: ٢٠)، فإن **الإيمان المسيحي** هو حجر الزاوية في الحياة المسيحية لأنه **"بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه (الله)"** (عب ١١: ٦).

و**الإيمان المسيحي**، في جانبه العملي، هو التسليم الصادق للرب مخلصنا الذي **"ليس بأحد غيره الخلاص"** (أع ٤: ١٢)، والثقة المطلقة في شخصه، والإيقان بصدق وعوده، ليس فقط فيما يتصل بما يُرى ولكن أيضاً بما لا يرى، ليس فقط بما يتحقق على الأرض في الحاضر ولكن أيضاً بما ينتظرنا وننتظره في ملكوت السموات في الدهر الآتي، والذي نرى بعضاً من ملامحه في حياتنا هنا.

و**الإيمان** في سماته الكاملة يتجاوز قدرة الإنسان، ويصير محتّماً أن يسأل الله أن يهبه إياه [كما فعل والد الابن المصروع الذي صرخ للرب بدموع قائلاً: "أؤمن يا سيد **فأعن عدم إيماني**" (مر٩: ٢٤)]، لأنه بالفعل عطية الله (أف ٢: ٨) وإحدى ثمار الروح القدس في الإنسان (غل ٥: ٢٢).

الإيمان الحي الحقيقي قوة تحرّك الجبال وتفتح أبواب السماء فتتغير حياتنا وتنتقل من الظلمة إلى النور ومن الموت إلى الحياة (يو ٥:٣٤، أف٥:٨، ١بط ٢:٢٩، ١يو٣:١٤)، وفيه تتحوّل أهدافنا نحو الله، ويصبح دافع عبادتنا هو محبتنا وطاعتنا لله لا إرضاء الناس أو أنفسنا (غل ١:١٠)، ونوهب طاعة الوصية ومقاومة إبليس (يع٤:٧) والصمود في التجارب واختبار الفرح وسط المحن والآلام (٢كو٦:١٠) وعدم الخوف من الموت (مت ١٠:٢٨، لو١٢:٤).

حياة الإيمان الحقّ تختبر كل يوم جديداً في علاقتها مع الله، وتنبع منها في الروح روافد تنمو وتتسع وتضيف إليها، كما يتصل بها بحكم الطبيعة فضائل بعينها هي من سمات الإيمان ولوازمه **ورفاقه: رجاءً وسلاماً وفرحاً وصبراً وتوبةً وقبولاً للآلام ومعايشة للملكوت على الأرض.**

على أن حياة الإيمان، من ناحية أخرى، تستثير في ذات الوقت عداء **إبليس** الذي تمردت عليه النفس المؤمنة وخرجت عن طاعته، فيأخذ في حصارها وتهديدها، كما يقاوم **الجسد** بدوره، بشهواته وميوله، مجتهداً في الارتداد إلى **الظلمة** ومشتاقاً إلى حرية **الموت!** وهكذا يُحارَب الإيمان بأن يتسلل إليه **الزيف وازدواج الحياة** بحيث يُبقى على هيئته الظاهرة ولكن يُميتُه من الباطن، أو بأن ترهقه التجارب وتحاربه **أهواء الجسد** القديمة **ومحبته العالم**، أو أن يتم إضعافه **بالقلق والهموم**، أو أن يهاجمه **بالشكوك والارتياب والحيرة** خاصة وسط الآلام والمتاعب وضغط الاضطهاد.

وفي الفصول التالية سنتناول، على ضوء كلمة الله، عدداً من التوجّهات الروحية التي **تقترن بالإيمان** وتلازم مسيرته وتنبيء عن حيويته، وكيف نقتنيها، وبجهاد الروح وعمله نجعلها ركائز الحياة، كما نعرض لتلك التوجهّات المعاكسة التي **تضاد الإيمان** وتناوئه وتنال منه، ربما عن غير قصد أو غير وعي، وكيف نتعامل معها ونتجنبها، أو كيف نكتشفها فينا ونتحرر منها إن غلبتنا بالضعف.

رفـــاق الإيمـــان

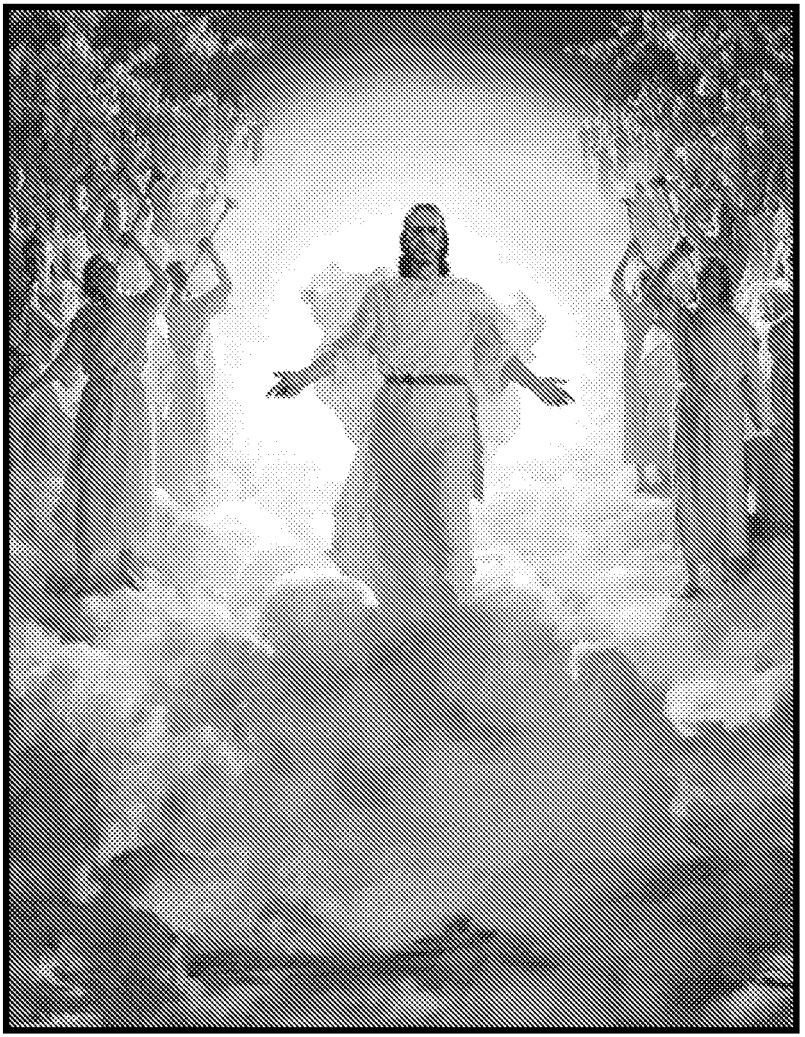

" منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح " (تي ٢:١٣)

١

الرجاء

+ بين الرجاء البشري والرجاء المسيحي
+ موضوع الرجاء
+ غاية الرجاء وطبيعته
+ الرجاء بين الإيمان والمحبة
+ الرجاء بين العهدين
+ الرجاء ضرورة أساسية في الحياة الروحية

بين الرجاء البشري والرجاء المسيحي

o المعنى المباشر **للرجاء**، لغة، هو الأمل، أو التعشُّم، أو التطلُّع لتحقيق رغبة أو وعد، أو توقُّع أو انتظار حدث، وإن كان بغير يقين أو قطع. **فالرجاء** أو **الأمل** في حياة البشر هو أحياناً محاولة نفسية للتغلُّب على مصاعب الحياة وتحمُّل آلامها وإحباطاتها، فيصير القوة الدافعة للعمل والدأب والمثابرة والاجتهاد والكفاح واحتمال التعب والألم من أجل التقدُّم والسعي نحو الأفضل، وانتظاراً لنوال الثمار وتحقيق الأماني والصمود أمام الفشل. ورغم أنه لا ضمان أمام الأمل، ولكن وجوده ضرورة حياتية، وبغيره تصبح الحياة عبئاً ليسود اليأس والقنوط وخيبة الأمل.

وقد جاءت كلمة **الرجاء** ومشتقاتها بهذا المعنى في الكتاب في أكثر من موضع كما في الأمثلة التالية :

+ فيقول **تلميذا عمواس** لرفيق الطريق: "**كنا نرجو** أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل ... بل إن بعض النساء منَّا حيَّرنَنَا... أتين قائلات إنهن رأين منظر

ملائكة قالوا إنه حي" (لو ٢٤: ٢١-٢٣). فهما كانا يأملان، ولكن الأمل كما نرى يضعف وتحاصره الحيرة وعدم التصديق.

+ ويكتب **القديس لوقا** في سفر الأعمال عن رحلة **القديس بولس** في البحر المتوسط إلى روما: "وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة، واشتدَّ علينا نوء ليس بقليل، **انتُزع أخيراً كل رجاء في نجاتنا**" (أع ٢٧: ٢٠). وهنا ثورة الطبيعة تنتزع كل رجاء في النجاة التي كانت مأمولة.

+ **والقديس بولس** يكتب لأهل كورنثوس: "لأني لست أريد أن أراكم في العبور (أي سريعاً خلال مروره بهم)، **لأني أرجو في الرب يسوع** أن أرسل إليكم سريعاً تيموثاوس لكي تطيب نفسي إذا عرفت أحوالكم" (في ٢: ١٩). فالرجاء هنا هو تعبير عمَّا في النية أو الرغبة وأمل في تحقيقها.

○ ولكن المعنى الكتابي **للرجاء** Helpis يختلف عمَّا ينشده الإنسان الطبيعي هدفاً ووسيلة. فعلى عكس الرجاء البشري غير الواثق الذي قد يتحقَّق أو يخيب، فإنَّ **الرجاء المسيحي** ثابت لا يتزعزع ونهايته الواثقة الثابتة تضمنها محبة الله وقدرته وصدق وعوده، وبالتالي فهو يوصف بأنه "**لا يُخزى**" (رو٥: ٥).

+ **الرجاء المسيحي** أحد الأعمدة الرئيسية في الحياة المسيحية التي تتجاوز أمور هذا الزمان وأشياءه ومسرَّاته، وبه نقفز من الحاضر إلى المستقبل، ومن الواقع الحاضر المشحون بالضيق والألم والحزن إلى انفراجة الغد القريب أو البعيد المملوء فرحاً.

+ **الرجاء** في حياة المسيحي الحاضرة هو توقُّع الخير دائماً (رو٨: ٢٨)، وتحقيق وعد الله بالتدخُّل الإلهي ونوال النِّعَم الروحية وانحسار الضيقة مهما طالت، وفي حياته الآتية هو متعلِّق بتمام الخلاص ودخول الملكوت والحياة الأبدية.

+ **الرجاء** في الكتاب المقدس يكتسب فرادته وقوته وحيويته وثباته ويقينيته من استناده المباشر، لا إلى شيء أو شخص، وإنما إلى الرب محب البشر وعمله وخلاصه، وبالثقة به وفي وعوده الثابتة التي لا يمكن أن تسقط ولا يقف أمامها عائق، وهو لا يخضع للمشاعر الذاتية أو الإمكانات البشرية ومحدوديتها أو الظروف السائدة.

إنه التطلُّع الواثق إلى غير المنظور، إلى آفاق خارج نطاق هذا العالم بحسب وعد الله، حيث الملكوت الأبدي الذي أعدَّه الله للذين يحبونه (١كو٢:٩): **"حسب انتظاري ورجائي أني لا أخزى في شيء"** (في ١:٢٠)؛ **"فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده"** (في٣:٢٠، ٢١).

+ **الرجاء** هو خيط الحياة الذي يجعل مصيرنا ومآلنا لا وهماً من الأوهام أو أمراً في دائرة التمنِّي، وإنما حقيقة واقعة قد بدأت منذ أن آمنَّا، هو مثل الحَبْل الذي يمسك به العامل في قاع بئر سحيق ليضمن سلامته عند الخطر، أو الذي يمنع سقوط متسلِّق الجبال، أو الذي يربط السفينة التي تتأرجح بين الأمواج بالشاطيء. إنه المرساة المؤتمنة والثابتة (عب ٦:١٩) للنفس المجاهدة في خضمِّ الحياة بارتفاعاتها ومنخفضاتها، فيمنح اليقين ببلوغ الهدف السعيد.

+ غياب **الرجاء** معناه التيه ومضاربة الهواء عن غير يقين والتخبُّط في برية الزمن. معناه أن تقف وحيداً مع الألم والفشل والحزن والمرض والسقوط، وتصير الحياة عبئاً لا يُطاق(+)، والجهاد تعباً باطلاً.

(+) في تقرير لمنظمة الصحة العالمية WHO (في أكتوبر ٢٠٠٢)، أن شخصاً ينتحر كل ٤٠ ثانية، وأن ٨١٥٠٠٠ تخلصوا من حياتهم سنة ٢٠٠٠، بما يجعل الانتحار السبب رقم ١٣ للموت على مستوى العالم، وهو ما يعكس افتقاد الكثيرين في هذا العصر للرجاء وسقوطهم المحزن في هوة اليأس.

موضوع الرجاء

الرب يسوع المسيح، كما هو موضوع الإيمان، بل "رئيس الإيمان ومُكمِّله" (عب١٢: ٢)، فهو أيضاً، بنعمته وخلاصه ووعده بالحياة الأبدية، هو موضوع الرجاء وغايته والفاعل فيه، كما تشهد بذلك كلمات الكتاب.

فهو "... **ربنا يسوع رجائنا**" (١تي ١: ١)، و"**إله الرجاء**" (رو ١٥: ١٣)، و"**سبب الرجاء**" الذي (فينا)" (١بط ٣: ١٥)، والذي "**بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً**" (يو ١٥: ٥)، وفيه "**نستطيع كل شيء**" (في ٤: ١٣)؛ "**أنتم الذين به تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات، وأعطاه مجداً حتى أن إيمانكم ورجاءكم هما في الله**" (١بط ١: ٢١)؛ "قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم قدِّيسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، إن ثبتم على الإيمان متأسِّسين وراسخين وغير منتقلين عن **رجاء الإنجيل**... السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أُظهِر لقديسيه... الذي هو المسيح فيكم **رجاء المجد**" (كو١: ٢١-٢، ٢٦، ٢٧).

+ **والقديس بولس** يؤكد أننا "نحن الذين قد سبق **رجاؤنا في المسيح**"

(أف١:١٢) "قد ألقينا **رجاءنا على الله** الحي الذي هو مخلِّص جميع الناس، ولا سيما المؤمنين" (١تي ٤:١١)، وعلى أن رجاءنا في المسيح ممتدٌّ إلى آخر الأيام: **"منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلِّصنا يسوع المسيح"** (تي٢:١٣). ومن هنا فهو يُسمِّيه **"رجاء المجد"** (كو ١:٢٧). وهو يرثي لمن انحصر رجاؤهم في المسيح على الأرض وحدها: **"إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح**، فإننا أشقى جميع الناس" (١كو ١٥:١٩).

وهو يتوسَّل **"لإله الرجاء"** و**"رجائنا"** الآن وفي الأبدية أن يملأنا "كل سرور وسلام في الإيمان **كي نزداد في الرجاء بقوة الروح القدس"** (رو ١٥:١٣).

+ **والكنيسة** في **أوشية الإنجيل** تُخاطب الابن متوسِّلة من أجل الجميع وتختم قائلة: "لأنك أنت هو حياتنا كلنا، وخلاصنا كلنا، **ورجاؤنا كلنا**، وشفاؤنا كلنا، وقيامتنا كلنا".

+ ويحثُّنا **القديس بطرس** أن نُلقي رجاءنا بالتمام على **النعمة** (١بط١:١٣)، باعتبار أن الرجاء من هبات النعمة الإلهية، كما يشير أيضاً **معلمنا بولس** أيضاً: "وربنا نفسه يسوع المسيح والله أبونا الذي أحبنا، وأعطانا عزاءً أبدياً، **ورجاءً صالحاً بالنعمة**، يُعزِّي قلوبكم، ويُثبِّتكم في كل كلام وعمل صالح" (٢تس٢:١٦، ١٧).

+ **الرب يسوع هو موضوع الرجاء، فبه كان كل شيء** (يو١:٣)، وهو **محب البشر** الذي تمَّم خلاصنا وأنعم على مؤمنيه بالحياة الأبدية: **"لأننا بالرجاء خلصنا"** (رو ٨:٢٤). فهو بالحق: **"القيامة والحياة"** (يو ١١:٢٥)، و**"الطريق والحق"** (يو ١٤:٦)، و**"النور الحقيقي"** (يو ١:٩)، و**"نور العالم"** (يو ٩:٥). وهو الذي أفاض على البشر نعمة الروح القدس (يو ١٦:٧).

وخلال حياتنا على الأرض، فهو القادر على كل شيء: يُبرِّر، ويُبارك، ويغفر، ويشفي، ويعتني، ويُعزِّي، ويُدافع، ويهب **"كل ما هو للحياة والتقوى"**

(٢بط ١:٣)، وهو **"الأمين الصادق"** (رؤ ٣:١٤) الذي لا يرجع ولا يتباطأ عن وعده (عب ١٠:٢٣؛ ٢بط ٣:٩).

والرب في ختام الأيام يُقيمنا **في المجد** عند ظهوره الثاني الآتي من السموات: **"متى أُظهِرَ المسيح حياتنا، فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد"** (كو٣:٤).

والقديس بولس يرى أن رفقة المسيح الأبدية هي الرجاء الأعظم: **"لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً"** (في ١:٢٣).

المسيح بالفعل هو رجاؤنا الآن وفي الأبدية.

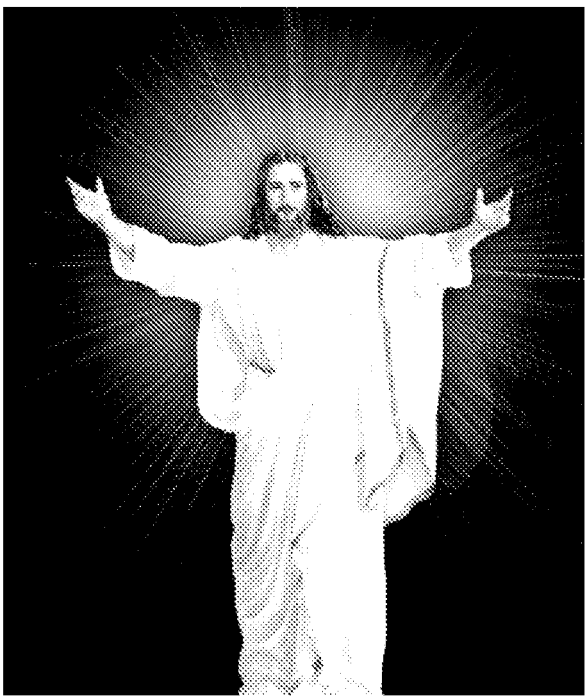

المسيح رجاؤنا

غاية الرجاء وطبيعته

هدف الرجاء البعيد هو قيامة الحياة وميراث الحياة الأبدية ("**رجاء الحياة الأبدية**"- تي ١: ٢؛ ٣: ٧)، والذي هو بالطبع أيضاً غاية الإيمان ("**إيمان لخلاص مستعدٍّ أن يُعلَن في الزمان الأخير**"- ١بط ١: ٥).

و**القديس بولس** حَسِبَ كل ما كان له، من تاريخ وتراث وموقع، خسارةً ونفايةً لكي يربح المسيح ومعرفته **وقوة قيامته** وشركة آلامه، وفي نهاية المطاف قال: "لعلِّي أبلغ إلى **قيامة الأموات**[1]. كما أنه، وهو يُجاهد في هذا المضمار، يُعلن أنه لم يُدرك الكمال ولن يبلغه هنا على الأرض، ولكنه فقط يسعى: "لعلِّي (مترجِّياً) أُدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع... أسعى نحو الغرض، **لأجل جعالة دعوة الله العُليا في المسيح يسوع**" (في ٣: ١١-١٤).

وقيامة المسيح من الموت هي الأساس العظيم لرجاء المؤمن المسيحي في

---

(١) ويُعلن رجاءه هذا وهو يُحاكَم أمام فيلكس والى قيصرية: "**ولي رجاء بالله... أنه سوف تكون قيامة للأموات: الأبرار والأَثَمَة**" (أع ٢٤: ١٥).

قيامته هو ودخوله الملكوت: "ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين" (١كو ١٢: ٢٠)، "مبارك الله... الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية **لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات"** (١بط١: ٣).

+ **الرجاء** بطبيعته، إذاً، يتعلَّق بما لا يُرى (٢كو ٤: ١٨) ("**الرجاء الموضوع لكم في السموات**"- كو ١: ٥) – وإلاَّ لا يكون رجاءً – وهو يتجاوز الحاضر المنظور إلى المستقبل القريب أو البعيد بما لا يُقاس.

وإن كنَّا لا نرجو شيئاً ننظره، لكن الرجاء يجعلنا نتوقَّعه كأنه حادث الآن وأنه بين أيدينا بالفعل ("**ها ملكوت الله داخلكم**"- لو ١٧: ٢١). إنه أشبه بلحظة مخاض ممتدة حافلة بالأوجاع، ولكن يُساندها **الروح** كل الحياة وحتى دخول الفردوس ثم الملكوت: "لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى **حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن ...بل... نحن أنفسنا نئن في أنفسنا متوقِّعين التبنِّي فداء أجسادنا. لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً!؟** ولكن إن كُنَّا نرجو ما لسنا ننظره، فإننا نتوقعه بالصبر. **وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا**، لأننا لسنا نعلم ما نُصلِّي لأجله كما ينبغي، **ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنَّات لا يُنطق بها"** (رو ٨: ٢١-٢٦).

+ وفي صراعنا مع العدو من أجل بلوغنا الساعة الأخيرة ثابتين لاقتناء الخلاص، تظل أسلحتنا هي **بر الإيمان** (الدرع والترس)، **والمحبة، ورجاء الخلاص** (الخوذة)، **والحق** (منطقة الحَقَوين)، **وكلمة الله** (السيف) (أف ٦: ١١-١٧؛ ١تس ٥: ٨،٩)؛ وبها نجتاز رحلة حياتنا بسلام إلى شاطئ الأبدية.

+ **الرجاء** في الله وخلاصه **يدعمه صدْق وعده وأمانته: "وها أنا مُقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم"**(تك ٩: ٨)، **"بذاتي أقسمت، يقول الرب...**

أُباركك مباركة" (تك ٢٢: ١٦،١٧)، "**والوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبدية**" (يو ٣: ١٦؛ ١يو ٢: ٢٥)، ويصير **الرجاء** هو بالحق "**رجاء الحياة الأبدية**" (تي ١: ٢؛ ٣: ٧).

+ **والقديس بولس** خلال محاكمته أمام فَستوس والي قيصرية، ومعه ضيفاه الملك أغريباس وأخته برنيكي، يُشير إلى "**رجاء الوعد** الذي صار من الله لآبائنا"، وأنه "من أجل **هذا الرجاء**" هو يُحاكَم من اليهود إخوته (أع ٢٦: ٦،٧). كما يقول أمام وجهاء اليهود وهو سجين في روما: "لأني من أجل **رجاء إسرائيل** موثق بهذه السلسلة" (أع ٢٨: ٢٠). وقد كان لشعب الله امتياز وعد الله لهم بالخلاص الذي كان الأُمم متغربين عنه، كما واجههم بذلك القديس بولس: "أنتم الأُمم... كنتم في ذلك الوقت **بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم**" (أف ٢: ١٢).

وفيما يتعلَّق بنا، فتعزيتنا قوية **بثقتنا في وعد الله بالمجد الأبدي**، مُمسكين **بالرجاء في المسيح** كأنه حَبْل النجاة أو المرساة الثابتة (عب ٦: ١٩) وسط الأنواء والمصاعب والمقاومات، **وعلى هذا الرجاء نبقى في انتظار المجيء الثاني للرب في ملء الزمان لتمام الخلاص** (١بط ١: ٥). وهكذا ينزع **الرجاءُ** الخوفَ من جهة المستقبل والمصير، كما أن التطلُّع إلى الجعالة والإكليل والميراث والدخول إلى الوطن السماوي مع الملك المسيح، هو أيضاً يُشدِّد **الرجاء** ويمنحه القوة والإصرار.

+ وكلمة الله تحثُّنا أن يرتبط الرجاء باليقين والثبات والصبر والانتظار الواثق والتمسُّك الدائم: "... **إن تمسَّكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية**"(عب٣:٦)؛ "ولكننا نشتهي **أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد** (في خدمة القديسين) **عينه ليقين الرجاء إلى** النهاية... متمثِّلين بالذين **بالإيمان والأناة** يرثون المواعيد... **لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا**" (عب ٦: ١١،١٢،١٨).

والكنيسة في ليتورجيتها تدعو الله في ختام صلاة القسمة: "بإيمان بلا رياء، ومحبة كاملة، **ورجاء ثابت** " (٢كو ١: ٧).

+ **والقديس بولس** يُعبِّر عن ثقته في **النعمة**: "**التي أُعطيت لنا في المسيح قبل الأزمنة الأزلية... وأُظهِرَت الآن بظهور مخلِّصنا يسوع المسيح** الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة **الإنجيل**"، ولهذا فهو يحتمل المشقات والتعييرات والآلام دون خجل من الشهادة للرب: "**لأني عالمٌ بمَن آمنتُ** (بقدرته وسلطانه وصدق وعوده)، **ومُوقِن أنه قادر أن يحفظ وديعتي** (نفسي) **إلى ذلك اليوم** (الأخير)" (٢تي ١: ٩-١٢).

وهو يُسكَب سكيباً، وقد جاءت ساعة انحلاله وخروجه من العالم؛ يكشف الرسول عن يقينه بخلاصه ونواله الإكليل: "**قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم** (مجيء الرب) **الرب الديَّان العادل، ليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبُّون** (يترجُّون واثقين) **ظهوره أيضاً**" (٢تي ٤: ٦-٨).

+ **والقديس بطرس** وهو يتطلَّع إلى يوم الخلاص، يحثُّ المؤمنين أن يكونوا "**منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب**" (٢بط ٣: ١٢)؛ بما يفترض التزامهم بالسهر والاستعداد الدائم استجابة لصوت الإنجيل: "**اسهروا**" (مر ١٣: ٣٧؛ لو ٢١: ٣٦)، "**لنسهر ونَصْحُ**" (١تس ٥: ٦).

+ **والقديس يوحنا** مُستجيباً لصوت المخلِّص الواعد بالمجازاة: "**وها أنا آتي سريعاً وأُجرتي معي لأُجازي كل واحد كما يكون عمله**"، يهتف مُشتاقاً: **آمين. تعالَ أيها الرب يسوع**" (رؤ ٢٢: ١٢، ٢٠).

وكانت **الكنيسة الأولى** تُردِّد عبارة أرامية لإعلان انتظارها الواثق لمجيء الرب "**ماران آثا**" أي "**ربنا تعالَ**" أو "**الرب آت**" أو "**مجيء الرب قريب**" (في ٤: ٥)، وكان المؤمنون يتبادلون قولها للتأكيد على رجائهم في مجيء الرب.

وقد حرص **القديس بولس** أن يذكرها بلغتها الأرامية في ختام رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس (المكتوبة باليونانية كما هو معروف) (١كو ١٦: ٢٢).

+اللهج في كلمة الله وحفظها والتفكُّر في وعود الله، يسند رجاءنا ويُضرمه: "لأن كل ما سبق فكُتب كُتِبَ لأجل تعليمنا، **حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب، يكون لنا رجاء**" (رو ١٥: ٤).

و**الرجاء** ينمو ويتأصَّل **بعمل الروح القدس** من خلال عبادتنا وجهادنا الروحي وتوبتنا: "وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في **الإيمان لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس**" (رو ١٥: ١٢).

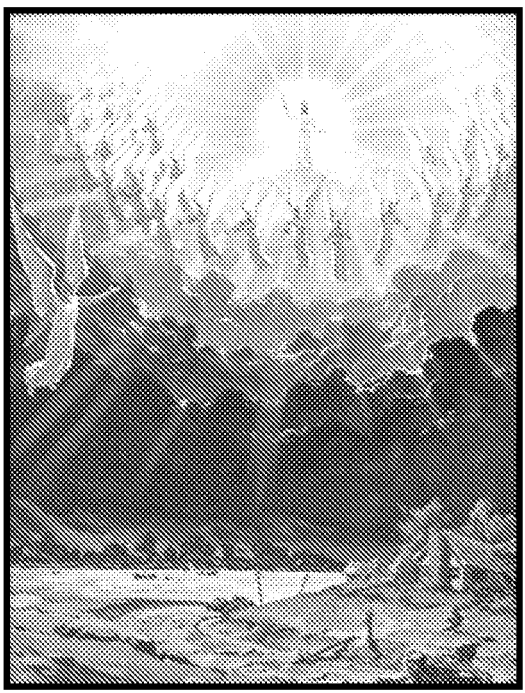

ماران آثا

الرجاء بين الإيمان والمحبة

الإيمان والرجاء والمحبة هي الثلاثية التي تُشكِّل معاً أعمدة الطريق المسيحي للحياة الروحية العملية. وهي أوضح ما تكون في ختام **أصحاح المحبة** (١كو١٣)، حيث يذكرها **القديس بولس** هكذا: "والآن يثبت **الإيمان والرجاء والمحبة**، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن **المحبة**" (١كو ١٣: ١٣).

+ولكن **القديس بولس** يُقرنها معاً أيضاً في مواقع أخرى، وكيف تتفاعل فيما بينها، ضمن تعليمه وتوجيهاته الروحية للمؤمنين:

"فإننا بالروح من **الإيمان** نتوقع **رجاء** بر، لأنه في المسيح يسوع، لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل **الإيمان العامل بالمحبة**" (غل ٥: ٥،٦)؛

"متذكِّرين بلا انقطاع عمل **إيمانكم**، وتعب **محبتكم**، وصبر **رجائكم**" (١تس ١: ٣)؛

"لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم **وتعب المحبة** التي أظهرتموها نحو اسمه... ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهِر هذا الاجتهاد عينه **ليقين**

الرجاء إلى النهاية، لكي... تكونوا... متمثلين بالذين **بالإيمان** والأناة يرثون المواعيد" (عب ٦: ١٠-١٢).

+ **والقديس بطرس** يتبع نفس النهج فيكتب في رسالته الأولى: "أنتم الذين به (بالمسيح) تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات، وأعطاه مجداً حتى إنَّ **إيمانكم ورجاءكم** هما في الله. طهِّروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح **للمحبة الأخوية** العديمة الرياء، **فأحبوا بعضكم بعضاً** من قلب طاهر بشدة" (١بط ١: ٢١،٢٢).

+ والفضائل الثلاث مذكورة معاً، لأنها مترابطة فيما بينها، كما تؤثِّر كل منها في الأخرى. فالحياة في المسيح تبدأ **بالإيمان**، ولكن في نفس اللحظة، يولد **الرجاء** في المسيح: "فإننا بالروح من **الإيمان** نتوقع **رجاء بر**" (غل ٥: ٥)؛ "فإذ قد تبررنا **بالإيمان** لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به (بالمسيح) قد صار لنا الدخول **بالإيمان** إلى هذه النعمة (الخلاص) التي نحن فيها مُقيمون، ونفتخر على **رجاء مجد الله** (رجاء التمتُّع بالمجد الأبدي)" (رو ٥: ١،٢).

كما أنَّ **المحبة** هي الإفراز الطبيعي **للإيمان** الحي ومعرفة الله "**مَن لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة**" (١يو ٤: ٨). ومن هنا اقتران المحبة بالإيمان كثيراً في **رسائل معلمنا القديس بولس "إيمانكم... ومحبتكم"** (كو١: ٤؛ ١تس ٣: ٦)، "**الإيمان والمحبة**" (١تس ٥: ٨؛ ١تي ١:١٤، ٢تي ١: ١٣؛ ٢تي ٢: ٢٢؛ تي ٢: ٢).

ومحبة الله ومحبة القريب هي تطبيق أُولى وأعظم وصايا **الإيمان** (تث ٦: ٥، لا ١٩: ١٨، مت ٢٢: ٣٧-٤٠، مر ١٢: ٢٩-٣١، لو ١٠: ٢٧، رو ١٣: ٩، غل ٥: ١٤، يع ٢: ٨)، والترجمة العملية للإيمان "**الإيمان العامل بالمحبة**" (غل ٥: ٦).

□ الرجاء والإيمان

الرجاء في الحقيقة هو الوجه الآخر **للإيمان** .ولا يقوم الإيمان بغير الرجاء، لأن الإيمان حسب التعريف الكتابي هو "**الثقة بما يُرجَى**" (عب ١١: ١).

الرجاء هو، إذاً، في صميم الإيمان ولا ينفصل عنه. وهو يتضمن الثقة في مَن هو موضوع الرجاء الذي هو شخص المسيح ووعده بالحياة الأبدية (١يو ٢: ٢٥). والرجاء يدعم العنصر المُكمِّل للإيمان وهو "**الإيقان بأمور لا تُرَى**"، أي التي هي في الغيب أو التي ستأتي في آخر الأيام، وهو يُساند الإيمان ويُشدِّده إزاء التجارب والضيقات ويُبقيه صامداً لا يهتزُّ.

كما أن **الرجاء** لا يقوم بغير **الإيمان**، لأنه امتداد الإيمان البعيد والأُخروي المتعلِّق بتمام الخلاص "**رجاء الخلاص**" (١تس ٥: ٨)، والتوطُّن في الملكوت ("**رجاء الحياة الأبدية**"- تي ١: ٢؛ ٣: ٧). **فالرجاء** هو ذراع الإيمان الممتد إلى الأبدية، وهو الذي يُتيح للإيمان أن يتصل بالمستقبل حتى يوم اللقاء (عندما ينتهي دور الإيمان والرجاء برؤيا المسيح ورفقته وجهاً لوجه- ١كو ١٣: ١٢). ومن ناحية أخرى، **فالإيمان** يُبقي **الرجاء** متوهجاً ثابتاً متمسِّكاً بمواعيد الله مهما كانت الريح مضادة والظلام سائداً.

و**الصبر** و**الأناة** المقترنان بالإيمان (١تي ٦: ١١؛ تي ٢: ٢؛ عب ٦: ٢؛ يع١: ٣) هما أيضاً رفيقا الرجاء (١تس ١: ٣)، و**أبطال الإيمان** الذين يذكرهم أصحاح الإيمان الشهير (عب ١١) هم بالتالي **أبطال الرجاء** أيضاً.

□ الإيمان والمحبة :

الإيمان ضروري **للمحبة**، لأنه يجعلها إلزاماً وليس اختيارا "**تحب الرب إلهك... تحب قريبك**"، كما أنه يجعلها مطلقة ويوسع تخومها لتقبل الكل بغير تمييز. وبالمقابل **فالمحبة** تحفظ **الإيمان** من الجفاف والتحوُّل إلى مجرد نشاط عقلي أو تصديق عقيدي يمكن أن يترلق إلى التعصُّب والانغلاق وكراهية الآخر

(كسلوك شاول الطرسوسي قبل أن تفتقده النعمة)، كما تبث في الإيمان الحيوية، وتوسّع القلب كي يستوعب العالم كله، فيصير المؤمن خادماً لخليقة الله كلها كسيده (مثل **السامري الصالح** بالمقارنة مع **الكاهن واللاوي** في تعاملهما مع اليهودي الجريح).

□ الرجاء والمحبة :

المحبة لا تستغني عن **الرجاء**، بل تلتحم به وتُضرمه فلا تفشل أبداً في عمل الخير (٢تس ٣: ١٣)، ولا تتراجع إن قوبلت بالصدود والكراهية "**ترجو كل شيء**" (١كو ١٣: ٧)، وهي تدعم الثقة في وعود الله ودوام أمانته (٢تي ٢: ١٣)، وتُلهب الشوق إلى المجد الأبدي والجعالة العُليا "**والرجاء لا يُخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا**" (رو ٥: ٥).

كما أن محبة القريب تُحرِّر رجاء المسيحي من الأنانية والانحصار في الذات، فيريد مثل سيده أن جميع الناس يخلصون معه، ولا يرجو لنفسه بركات لا يُشاركه فيها غيره، ويفرح أن يكون الجميع يوماً في الموضع الذي أعدَّه الله ووعد به للذين يحبونه (١كو ٢: ٩؛ يع ١: ١٢). ولأن المحبة "**تصبر على كل شيء**" (١كو ١٣: ٧) فهي تمدُّ في حبال الصبر الذي لابد أن يُلازم حياة الرجاء.

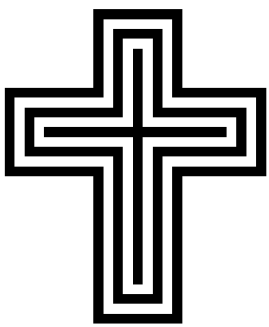

الرجاء بين العهدَيْن

أ - في العهد القديم

يتأرجح **الرجاء** في العهد القديم بين ما هو أرضي وما هو أُخروي. وأكثر الوعود من البداية وحتى السَّبي تتكلَّم عن الأرض وغلَّتها وثمارها، من ناحيـــة؛ ومن ناحية أخرى، عن البركة والانتماء إلى الله. ولكن ظلَّ تطلُّع الـــشعب إلى الوعد بالأرض أكثر من التعلُّق بصاحب الوعد، إلى أن تغيَّرت النظرة فيما بعد، وانعقد رجاء الكثيرين كلِّيّاً في الرب تمهيداً للمجيء الأول للمسيَّا.

ومع هذا، فهناك نموذجا **إبراهيم** و**داود**، يُنيران أكثر من ألف عـــام مـــن العهد القديم، وهما اللذان تعلَّق قلباهما بالرب وخلاصه.

والمختارات الكتابية التالية تعرض صُوراً من رجاء شعب الله المـــستند إلى وعوده قبل الناموس وبعده:

+ فالوعد الأول **لإبراهيم** (أبرام) كان عندما أمره الرب أن يخـــرج مـــن حاران حيث أرضه وعشيرته وبيت أبيه "إلى **الأرض** التي أُريك، فأجعلك **أُمة عظيمة. وأُباركك وأُعظِّم اسمك، وتكون بركة، وتتبارك فيك جميع قبائـــل**

الأرض" (تك ١٢: ١-٣). فأطاع إبراهيم وخرج "ولا يعلم إلى أين يأتي؟". وفي أرض الموعد تغرَّب وعاش "ساكناً في خيام مع إسحق ويعقوب الوارثَيْن معه لهذا الموعد عينه... لأنه كان **ينظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله**" (عب ١١: ٧-١٠).

+ ثم كان تأكيد الوعد **لأبرام** بالأرض والنسل بعد اعتزال لوط عنه: "ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأنَّ **جميع الأرض التي أنت ترى**، لك أُعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض" (تك ١٣: ١٤،١٥)؛ ثم كانت البركة على يد **ملكيصادق** (تك ١٤: ١٩)، وبعدها كان الوعد بالنسل الكثير (تك ١٥: ٤،٥). ولما طال الانتظار، عرف إبراهيم هاجر، وولدت له إسماعيل.

+ ولأن إسماعيل لم يكن ابن الموعد، فقد جدَّد الرب الوعد **لإبراهيم** وهو ابن تسع وتسعين سنة (بعد ١٣ سنة من ميلاد إسماعيل) "**فهوذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهور من الأمم، وأُثمرك كثيراً جداً، وأجعلك أُمماً. وملوكٌ منك يخرجون. وأُقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك**" (تك ١٧: ٤،٦،٧؛ رو ٤: ١٧)؛ وجعل **الختان** علامة العهد (تك ١٧: ١١)، ووعده بابن من سارة يكون العهد معه، ثم ظهر له عند بلوطات مَمْرا، وأعلن له موعد ميلاد **إسحق** (تك ١٨: ١٠،١٤). ورغم شيخوخته، هو وسارة، صدَّق إبراهيم الوعد، ووُلدَ له **إسحق** (تك ٢٠: ٢؛ رو ٤: ١٩-٢١). وفي هذا يقول **القديس بولس** إنَّ **إبراهيم** "**على خلاف الرجاء** (بمعنى أن واقع شيخوخته، هو و**سارة**، كان ضد أي رجاء في الإنجاب في هذه السِّنِّ) **آمن على الرجاء** (أي الثقة الأكيدة في وعد الله) **لكي يصير أباً لأُمم كثيرة**" (رو ٤: ١٨).

ولما صار إسحق شاباً، طلب الرب من إبراهيم أن يُقدِّمه محرقة. ولما أطاع إبراهيم دون تحفُّظ ودون أن تتراجع ثقته في وعد الله (إذ حَسِبَ أن الله قادرٌ

على الإقامة من الأموات – عب ١١: ١٩)، جدَّد له الله وعده بالبركة (تك ٢٢: ١٧،١٨). **وهكذا ظلَّ تقديم إبراهيم ابنه إسحق كذبيحة، مثالاً للرجاء الكامل في وعد الله.**

+ وفي مجال انحصار الرجاء في الرب، تُشرق كلمات **حَنَّة أُم صموئيل النبي: "ليس قدوسٌ مثل الرب، لأنه ليس غيرك، وليس صخرة مثل إلهنا"** (**١**صم ٢: ٢)، وهى التي قدَّمت ابنها الوحيد صموئيل لله الذي أنعم به عليها بعد سنين من الحرمان (١صم ٢: ٢٨).

+ كما يبرز بين الأنبياء **داود النبي** الذي شَهدَ له الله أنه حسب قلبه (١صم ١٣: ١٤؛ أع ١٣: ٢٢)، والذي يحصر رجاءه في الله وحده سواء في انتصاره أو آلامه:

" **جعلتُ الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع**" (مز ١٦: ٨)؛

"**رجائي فيك هو**" (مز ٣٩: ٧)؛

"**لأنك أنت رجائي**" (مز ٧١: ٥)؛

"**أعين الكل إياك تترجَّى**" (مز ١٤٥: ١٥)؛

"**الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء**" (مز ٢٣: ١)؛

"**الرب نوري وخلاصي ممَّن أخاف. الرب حصن حياتي ممَّن أرتعب... انتظر الرب، ليتشدَّد وليتشجَّع قلبك، وانتظر الرب**" (مز ٢٧: ١،١٤)؛

"لماذا أنت منحنية، يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ **ارتجي الله**" (مز ٤٣: ٥).

+ ومن جوف الحوت صعدت صلاة **يونان**، تكشف رغم كل شيء، عن رجائه في الله وثقته في استجابته وإنقاذه "**دعوتُ من ضيقي الرب فاستجابني.**

صرختُ من جوف الهاوية فسمعتَ صوتي... ولكني أعود أنظر إلى هيكل قدسك... للرب الخلاص" (يون ٢: ٢، ٤، ٩)

+ الرب عند **إرميا النبي** هو **رجاء إسرائيل** (إر ١٤: ٨؛ ١٧: ١٣)، وهو يمتدح المتَّكل على الرب **"مبارك الرجل الذي يتَّكل على الرب، وكان الرب متَّكله، فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمدُّ أصولها ولا ترى إذا جاء الحر، ويكون ورقها أخضر، وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكفُّ عن الإثمار"** (إر ١٧: ٧، ٨)؛ كما يشير أيضاً إلى الرجاء في الله فيما يتعلَّق بالمصير **"ويوجد رجاء لآخرتك، يقول الرب"** (إر ٣١: ١٧). والله يقول لإرميا أيام السبي الكئيبة **"لأني عرفت الأفكار التي أنا مُفتكر بها عنكم.. أفكار سلام لا شر، لأُعطيكم آخرة ورجاء"** (إر ٢٩: ١١).

+ والنبي **إشعياء** يُخاطب إسرائيل مُنبئاً عن رجوعه قائلاً: "لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار، ولا القمر يُنير لك مُضيئاً، بل **الرب يكون لك نوراً أبدياً"** (إش ٦٠: ١٩).

+ والنبي **دانيال** في رؤياه يُظهر امتداد الرجاء إلى قيامة الأموات **وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية**، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي .**والفاهمون يُضيئون كضياء الجَلَد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور"** (دا ١٢: ٢، ٣).

+ ولكن بينما كان رجاء الأنبياء، خاصة وقت السبي، يتصاعد إلى التأكيد على الجانب الروحي في وعود الله؛ كان الشعب، على العكس، يعيش حالة من الانحطاط الروحي وانحراف القلب، كما تُدينهم كلمة الله: "أرجلهم إلى الشر تجري، وتُسرع إلى سفك الدم... طريق السلام لم يعرفوه. من أجل ذلك ابتعد الحق عنَّا ولم يُدركنا العدل. ننتظر نوراً، فإذا ظلام" (إش ٥٩: ٧-٩؛ رو ٣: ١٥)

مع هذا فقد ظل هناك رجاء في أنَّ "**البقية ستخلُص يوماً**":

"ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً... وتجري إليه كل الأُمم، وتسير شعوب كثيرة ويقولون :**هَلُمَّ نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيُعلِّمنا من طُرُقه، ونسلك في سُبله**" (إش ٢: ٢،٣)؛

"ويكون في ذلك اليوم أنَّ **بقية إسرائيل والناجين من بيت يعقوب** لا يعودون يتوكَّلون أيضاً على ضاربهم، بل **يتوكَّلون على الرب قدوس إسرائيل بالحق. ترجع البقية، بقية يعقوب، إلى الله القدير** .لأنه وإن كان شعبك يا إسرائيل كرمل البحر، **ترجع بقية منه**" (إش ١٠: ٢٠-٢٢؛ رو ٩: ٢٧).

+ ومن خلال النبوَّات (خاصة الأخيرة) يتبلور الرجاء في شخص الفادي الذي يُحقِّق الوعد: إنه في **نسل إبراهيم "يتبارك... جميع أُمم الأرض"** (تك ٢٢: ١٨)، ويتعالى الاشتياق إلى مجيئه، **وتمتدُّ البركة من اليهود إلى الأُمم أيضاً**. ونورد هنا القليل من الكثير منها:

"**كل الأُمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك، يا رب، ويُمجِّدون اسمك**" (مز ٨٦: ٦)؛

"**لأنه يُولَد لنا ولد، نُعطَى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه. ويُدعَى اسمه: عجيباً مُشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام**" (إش ٩: ٦)؛

"**هوذا عبدي (فتاي) الذي أعضده، مختاري (حبيبي) الذي سُرَّت به نفسي. وضعتُ روحي عليه، فيُخرج الحقَّ للأُمم** ("**حتى يخرج الحق إلى النصرة، وعلى اسمه يكون رجاء الأُمم**") (إش ٤٢: ١، مت ١٢: ١٨،٢٠،٢٧، رو ١٥: ١٢") ؛

"**قد جعلتك نوراً للأُمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض**" (إش ٤٩: ٦، لو ٢: ٣٢)؛

"ترنَّمي أيتها السموات، وابتهجي أيتها الأرض. لتُشد الجبال بالترنُّم، **لأن الرب قد عزَّى شعبه، وعلى بائسيه يترحَّم**" (إش ٤٩: ١٣)،

"**.. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبره شُفينا. كلنا كغنم ضللنا، ملْنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا... لذلك أقسمُ له بين الأعزَّاء، ومع العظماء يقسم غنيمة. من أجل أنه سكب للموت نفسه، وأُحصي مع أَثَمَة، وهو حَمَل خطايا كثيرين، وشفع في المذنبين**" (إش ٥٣: ٥،٦،١٢)،

"... اسمعوا فتحيا أنفسكم، **وأقطع لكم عهداً أبدياً، مراحم داود الصادقة** (الأمينة). **هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب، رئيساً ومُوصياً للشعوب. ها أُمة لا تعرفها تدعوها، وأُمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل، لأنه قد مجَّدك**" (إش ٥٥: ٣-٥، أع ١٣: ٣٤)؛

"قومي استنيري لأنه قد **جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك ...**فتسير الأُمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك" (إش ٦٠: ١،٣)؛

"**إلى اسمك وإلى ذكْرك شهوة النفس**" (إش ٢٦: ٨)؛

"**ليتك تشقُّ السموات وتنزل**" (إش ٦٤: ١)؛

"ها أيام تأتي، يقول الرب، **وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم... وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً... لأني أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد**" (إر ٣١: ٣١-٣٤؛ عب ٨: ٩-١٢).

ب - في العهد الجديد

من الملاحَظ أن الأناجيل أو سفر الرؤيا لا تحوي كلمة "**الرجاء**" بالمعنى الاصطلاحي المسيحي (هلبيس)، رغم أنها تحفل بحتمية **الإيمان** (مر ١١: ٢٢؛ يو ٣: ١٦) وضرورة **المحبة** (مت ٢٢: ٣٧-٤٠). فحضور المسيح - موضوع الرجاء - وسط تلاميذه كان يغني عن الكلام "**يا رب إلى مَن نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك**" (يو ٦: ٦٨).

+ كرازة الرب كانت إعلان اقتراب الملكوت (مت ٤: ١٧؛ مر ١: ١٥)، ومع هذا فإن الرب علَّم تلاميذه ألاَّ يضطربوا من جهة الغد (مت ٦: ٣٤)، لأن المستقبل هو في يدي آب مُحب. ولأن وجود الرب معهم كان لهم كل شيء، فقد كان ارتفاعه يعني الحرمان من مانح الرجاء: "لا أترككم يتامى .**إني آتي إليكم**" (يو ١٤: ١٨). ومن هنا فقد وعدهم الرب - حتى من قبل آلامه- **بالروح القدس** الذي يلهب الرجاء فيهم ويهبهم القوة للكرازة والخدمة واجتراح الآيات (المعجزات)، كما كان يفعل المسيح، بل "**وأعظم منها**" (يو١٤: ١٢). كما رفع الروح اشتياقهم لمشاركته مجده الأبدي (أف ١: ١٨)، وانتظار مجيئه الثاني. وكانت قيامة الرب إسهاماً قوياً في تعضيد الرجاء فيهم كإعلان قوة الله على الموت والعالم ورئيسه، وعلى نوازع الخوف واليأس وألوان الضعف الجسدي.

+ تجسُّد المسيح وحلوله بيننا، وحياته، وتعليمه، وموته، وقيامته، وإرساله الروح القدس، وتأسيس الكنيسة؛ يجعل رجاءنا فيه ثابتاً وأكيداً ممتدّاً خلال كل أيام حياتنا، ومستنداً إلى صدْق وعوده، ومتطلّعاً بالشوق والثقة إلى لقاء الرب على السحاب في مجيئه الثاني.

+ أبناء **العهد الجديد** مغبوطون، لأنهم تمتَّعوا بما انتظره آباء العهد القديم الذين في الإيمان ماتوا أجمعين "**وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدَّقوها وحَيَّوْها، وأقرُّوا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض**" (عب١١: ١٣).

والرب، وهو يُخاطب تلاميذه، أشار إلى "**إنَّ أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم تَرَوْن ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا**" (مت ١٣: ١٧).

وواحدٌ من هؤلاء الأبرار، وهو **سمعان الشيخ**، الذي أطال الله في عمره كي يُعاين المسيح الطفل ويحمله على ذراعيه عندما دخل به أبواه الهيكل، يهتف شاكراً: "الآن تُطلق عبدك، يا سيِّد، حسب قولك بسلام، **لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدَّام وجه جميع الشعوب. نور إعلان للأُمم، ومجداً لشعبك إسرائيل**" (لو ٢: ٢٩-٣٢؛ إش ٤٩: ٦)؛ وإلى جانبه كانت تقف **النبيَّة العابدة حنَّة بنت فنوئيل**، التي تجاوزت عامها المائة، وفي تلك الساعة "وقفت تُسبِّح الرب، وتكلَّمت عنه مع **جميع المنتظرين فداءً في أورشليم**" (لو ٢: ٣٦-٣٨).

+ الرب أيام تجسُّده، قدَّم نفسه رجاءً للجميع، لليهود والأُمم "**تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أُريحكم**" (مت ١١: ٢٨). وفي خدمته، لم ينحصر الرب في خاصته، وإنما وسع قلبه **الجميع**: فتعامل مع قائد المائة الأُممي (مت ٨: ١٠؛ لو ٧: ٩)، والمرأة الكنعانية (مت ١٥: ٢٨؛ مر ٧: ٢٩)، والمرأة السامرية وشعب السامرة (يو ٤: ٢٩،٤١،٤٢)، وهو أعلن "**إنَّ كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب، ويتَّكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات**" (مت ٨: ١١؛ لو ١٣: ٢٩)، وأمر تلاميذه أن "يذهبوا ويُتلْمذوا **جميع الأُمم**" (مت ٢٨: ١٩).

وهو قد جذب اهتمام الجميع بالملكوت والمجيء الثاني والتوطُّن في السماء، واستخدام الأمثال التي تُجسِّد هذا التوجُّه (أمثال: الحنطة والزوان، حبة الخردل، الخميرة، الكنز المُخْفَى، اللؤلؤة كثيرة الثمن، والشبكة المطروحة في البحر - مت ١٣: ٢٤-٥٠؛ وأمثال: العذارى والوزنات - مت ٢٥: ١-٣٠؛ ومشاهد المجيء الثاني - مت ٢٥: ٣١-٤٦).

+ والكنيسة، وهى تُقدِّم القرابين على المذبح، تستعيد عمل الرب الخلاصى الذي يبلغ مداه في مجيئه الثاني لتمجيد قدِّيسيه، فيقول الكاهن في قدَّاس القديس باسيليوس الموجَّه إلى الآب: "**ففيما نحن أيضاً نصنع ذكْر آلامه المقدسة، وقيامته من بين الأموات، وصعوده إلى السموات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب، وظهوره الثاني الآتي من السموات المخوف المملوء مجداً؛ نُقرِّب لك قرابينك من الذي لك، على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال**".

فالكنيسة تحيا على رجاء عودة الرب للخلاص الأخير (أع ١: ١١؛ ٣: ٢٠؛ في ٣: ٢٠،٢١؛ ١تس ٤: ١٦؛ ١بط ١: ٥) "لأنه **بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يُبطئ**" (عب ١٠: ٣٧)؛ بل إنها تتعجَّل مجيئه: "**منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب**" (٢بط ٣: ١٢). وهى تَعتَبر ترقُّب عودته، تعزية لكل المؤمنين: "**لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام**" (١تس ٤: ١٥؛ ٥: ١١).

الماء الحي

الرجاء ضرورة أساسية في الحياة الروحية

كما ذكرنا آنفاً، **فالرجاء** وثيق الصلة بكل من الإيمان والمحبة، ويتفاعل معهما عطاءً وأخذاً. **والرجاء** بالغ الثراء، وهو كالإيمان والمحبة، له أصداؤه في جوانب شتى من الحياة الروحية. وهو بطبيعته، بحكم اتصاله بشخص الرب ("**رجائنا**" – ١تي ١:١)، وتعلُّقه في المقام الأول بالحياة الأبدية ("**رجاء الحياة الأبدية**" – تي ١:٣؛ ٣:٧)، وبوعود الله التي لا تسقط ("**رجاء الوعد**" – أع٢١:٦)، وأمانة الله وعدله ("**أمين وعادل**" – ١يو ١:٩)، فهو يتداخل ويثمر ويؤثر في حياة المؤمنين وخدمة الله. والكتاب يحفل بالهبات التي ينالها المؤمنون بتمسكهم "**بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية**" (عب ٣:٦)، وبقائهم "**متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل** (البشارة)" (كو١:٢٣).

+ **فالرجاء** في الحياة الأبدية يحفز المؤمن لدوام الجهاد واتباع القداسة: "**اتبعوا... القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب**" (عب ١٢:١٤)، والتمسك بطهارة الكيان والتحرر من نقاط الضعف والالتزام بالسلوك بالتدقيق (١كو٥:١٥)، وعدم الارتداد إلى الحياة القديمة "**وكل من عنده هذا الرجاء**

(أي رجاء ظهور الرب لمؤمنيه في الدهر الآتي) **به يطهر نفسه كما هو** (أي الرب) **طاهر**" (١يو ٣:٢، ٣) ليكون جديراً بحضور عرس الحمل.

وبنفس المعنى يكتب القديس بولس: "**لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلِّصة لجميع الناس، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر، منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلِّصنا يسوع المسيح**" (تي ٢:١١-١٣). وهو ألزم نفسه بما علَّم به "**لذلك أنا أيضاً أدرب نفسي ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس**" (أع ٢٤:١٦).

وفي الواقع، فإن توهج **الرجاء** في حياة المسيحي يجعل من العسير عليه أن تغريه أباطيل العالم أو أن يكتفي في الحياة بالمسرات المؤقتة، فكلها تكون بالنسبة له كقبض الريح إذا قيست بمعيّة المسيح الأبدية والأفضل بما لا يقاس (في١:٢٣).

+ في أوقات الفرج وانتعاش الحياة الروحية يثمر **الرجاء** الفرح "**فرحين في الرجاء**" (رو ١٢:١٢) والسلام والطمأنينة والعزاء سواء بالثقة في حضور الله في كل جوانب الحياة، في سرّائها وضرّائها، أو باليقين من جهة المصير الأبدي. ومن جهة أخرى، فكلما نعمنا بالسلام يتدعم رجاؤنا بنعمة الروح القدس وقوته: "**وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان، لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس**" (رو١٥:١٣).

+ وبالمثل ففي أوقات الحصار (الاضطهاد)، والانحسار (هبوط الروحيات)، والضيق والآلام والمحن (كالأمراض الثقيلة والعجز والخسائر والفشل)؛ فإن **الرجاء** ينشيء ويساند الصبر والأناة والاحتمال: "**ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر**" (رو ٨:٢٥)، "**متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد**" (عب ٦:١٢)، بل إنه يجلب الفرح رغم الضيق ثقة في أن الله يعرف ويسمح وأن "**كل الأشياء تعمل معاً للخير**" (رو ٨:٢٨).

وعلى نحو آخر، فإن الضيقات هي أيضاً تستنهض **الرجاء** وتضرمه كي يقوم بدوره ويلاشي تداعياتها، ويؤكد الثقة في تدخل الله في الوقت المعين بحسب قصده: "**بل ونفتخر أيضاً في الضيقات، عالمين أن الضيق ينشيء صبراً، والصبر تزكية، والتزكية رجاء، والرجاء لا يخزى، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا**" (رو ٥:٣-٥).

فالرجاء هو بلسم الألم، كما أن ارتباط الرجاء بالمجد ("**رجاء المجد**" – كو١:٢٧) يقلّص من حجم الألم بالمقارنة مع عظم المجد الأبدي ومداه: "**فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا**" (رو٨:١٨).

+ **والرجاء**، في أوقات التراجع والهزائم، يقيم ويشدد ويحث على التوبة والرجوع، ويستبعد اليأس من إمكان التغيير. فمن اختبر الرجاء الحقيقي لا يستطيع التضحية بغاية الحياة الأسمى، ولا يفقد ثقته في محبة الله واتساع قلبه وقدرته على الغفران: "**الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء**" (رو ٨:٢٢).

و**القديس بطرس** رغم فداحة سقطته وتخلّيه عن سيده وقت محنته، لكنه مع هذا نجا لأنه لم يفقد رجاءه في معلمه الذي أحبه، وغسل بدموع توبته عار إنكاره العابر (مت ٢٦:٧٥؛ مر ١٤:٧؛ لو ٢٢:٦٢)؛ وعلى عكسه كان **يهوذا** الذي خان سيده وأسلمه لأعدائه، ولكنه إذ فقدَ رجاءه في إمكان قبوله فقدَ كل شيء (مت ٢٧:٥؛ أع ١:١٨-٢٠).

نعم، فبغير **الرجاء** نسقط في اليأس والحزن والاكتئاب والقلق وصغر النفس.

+ ولكن **يبقى للرجاء** دوره الكبير أمام **الموت** "**آخر عدو يُبطل**" (١كو١٥:٢٦). ففي هذه الأوقات الصعبة يكون الرجاء ملجأ المؤمن للصمود أمام الموت واستحضار رؤيا الملكوت لتختلط بالمشهد الحاضر الباكي، فلا

يتجاوز الحزن حدوده العاطفية الإنسانية. **والقديس بولس** يعتبر أن **الرجاء** هو نصيب المؤمن، وأن من لا إيمان له لا رجاء له. وفي مجال الموت يطلب من إخوته **ألا يحزنوا "كالباقين** (غير المؤمنين) **الذين لا رجاء لهم"** (١تس ٤:١٣؛ أف ٢:١٢)، أي أنهم حتى في حزنهم فالرجاء يَضبط مداه فلا يتخطّى إطاره، هو فقط يستثير مجدّداً شوقهم لمجد الأبدية، حيث تُكفكف الدموع ويلتقي الكل فرحين حول عرش الملك المسيح: **"منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح"** (تي ٢:١٣).

والرجاء ليس فقط يضبط الحزن عند موت الآخرين، وإنما أيضاً يجرد المؤمن من خوف الموت عند اقتراب ساعته، فقد حان وقت الشهادة بيقين الخلاص خاصة لو اقترن الموت بالاستشهاد من أجل الإيمان، فيردد مع المغبوط بولس: **"لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح"** (في ١:٢١).

+ الذين اختبروا الخلاص ويعيشونه محبةً لله وإيماناً ثابتاً وحياةً جديدة وعبادةً صادقة وموقفاً صريحاً من العالم، الذين يعرفون غايتهم جيداً وفي قلبهم يقين بمآلهم في النهاية، هم أصحاب **الرجاء** الذين يمسكون به **"كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة"** (عب ٦:١٩) كل يوم وكل ساعة، ويُثبتون وجوههم نحو موطنهم السماوي حتى يوم اللقاء.

ولكن هناك أيضاً اليائسين، أو الذين لم يحددوا موقفهم بعد من دعوة الله، والذين يتفادون مواجهة أسئلة المصير ويهيمون على وجوههم في برية الحياة **"الذين لا رجاء لهم"** (١تس ٤:١٣)، وهؤلاء يستحقون حزننا وانشغالنا وخدمتنا، وأن يظل رجاؤنا في عودتهم متوهجاً ثابتاً، مصلّين بكل طلبة أن تنفتح عيونهم على تعاسة حالهم، فيفكرون في نهايتهم، وينبت من جديد رجاؤهم الذابل، وعندها ينطرحون أمام المخلِّص المنتظر دوماً ابنه الضال عائداً إلى الحياة بعد الموت.

و**القديس بولس** ظل ثلاث سنين، ليلاً ونهاراً، لا يفتر عن أن يُنذر بدموع كل واحد (أع ٢٠: ٣١)، وهو ما يحفزنا ألا نكفّ عن بشارة المتعثرين بغير أن نفقد رجاءنا. ومثالنا الشهير هنا **أغسطينوس**، الذي رغم شروده الطويل، ثابرت أمه **مونيكا** على الصلاة من أجله بلجاجة دون أن يجف دمعها، وسمعت ما شجعها من الأسقف **أمبروسيوس**: "لن يهلك ابن هذه الدموع"، وافتقدته نعمة الله ليكون أحد آباء الكنيسة الكبار.

+ **الرجاء** في الله "**رئيس الرعاة**" (١بط ٥: ٤)، "**راعي الخراف العظيم**" (عب١٣: ٢٠)، "**راعي نفوسنا وأسقفها**" (١بط ٢: ٢٥)، والثقة في عمل الروح القدس الذي يهييء القلوب لمعرفة الخلاص (لو ١: ١٧)، ضرورة أساسية في خدمة كل راعٍ وكارز خاصة أمام اللاهين والمقاومين والرافضين الذين جرفتهم أمواج العالم. فرجاء الخادم هو سلاحه الماضي في معاركه لانتزاع هؤلاء من براثن عدو الخير واختطافهم من النار (يه ٢٣)، وانضمامهم من ثم إلى جموع مفديي الرب.

+ **الرجاء** لا يقف وحده سواء في جهادنا اليومي أو في حقل الكرازة والخدمة، ولن يعفي من التعب والتغصب والجهاد الروحي والجسدي، بل هو بالطبيعة يقتضي توافر الأمانة وبذل الجهد الذي هو قرين الإيمان والمحبة أيضاً ("**تعب المحبة**" – عب ٦: ١٠): "**جاهد جهاد الإيمان الحسن، وامسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت أيضاً... أوصيك أمام الله... أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور مخلصنا يسوع المسيح**" (١تي ٦: ١٢-١٤)، "**كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة**" (رؤ ٢: ١٠).

و**الرجاء** لا يعني الاكتفاء بانتظار تدخل السماء دون التحرك لرفع المعاناة عن المذَلّين أو التوقف عن الدفاع عن المظلومين والمهمشين والفقراء والمستَغلّين والضحايا في كل مكان وتخفيف آلامهم؛ كما لا يعني الاستسلام للظالمين والمنحرفين والمضطهِدين والخضوع لهم، وإنما رفض نهجهم ومواجهتهم بالحق

وإنقاذهم من شر أنفسهم. **فالرب** الوديع أدان رياء الكتبة والفريسيين، **وإيليا النبي** تصدى لمطامع أخآب، **والمعمدان** واجه انحراف هيرودس دون خوف الموت، **والرسول بطرس** لم يستسلم أمام من أرادوه ألا ينطق باسم يسوع بل جاهر بالكرازة باسمه، **والقديس بولس** لم تثنه المقاومة والاضطهادات عن مواصلة جهاده حتى حد السيف موقناً من مصيره المجيد.

+ ولكن **الرجاء** يمكن أن تتهدده الأخطار، تعوّقه وتضعفه، بل ويمكن أن تهزمه إن لم يظل المؤمن منتبهاً متأهباً، متمسكاً بمرساة رجائه في المسيح وألا يتحول رجاؤه إلى آخر.

المؤمن الساهر باستناده الدائم إلى النعمة لن يسمح إذاً بتراجع إيمانه ومحبته، أو أن تتحول الثقة إلى ذاته وبره وما يملكه، أو أن ينحني مهزوماً أمام التجارب والآلام، أو أن تفتر روحه ويرتد إلى الحياة حسب الجسد، أو أن يستسلم للخوف والقلق، أو أن يتسلل إليه اليأس أو الإحساس بالفشل.

○ **وكلمة الله** هنا تشجعنا، وتوجهنا:

"أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه" (إش ٤٩: ٢٣)؛

"لذلك لا نفشل، وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً" (٢كو ٤: ١٦)؛

"لأن الله لم يعطنا روح الفشل، بل روح القوة والمحبة والنصح" (٢تي ١: ٧)؛

"لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بني آدم، حيث لا خلاص عنده تخرج روحه فيعود إلى ترابه" (مز ١٤٦: ٣)؛

"ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه" (إر ١٧: ٥).

o وهي أيضاً تحذرنا :

..ألا ينحصر رجاؤنا في المسيح على ما نجتازه في **حياتنا فقط على الأرض**، بحيث يغيب هنا الهدف البعيد والأعظم، وهو أن نتوطن في الأبدية مع الرب؟

وكما يقول **الرسول بولس**: "**إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس**" (١كو ١٥:١٩)، لأننا نكون قد استغنينا بإرادتنا عن كل مسرات الأرض، وتمتعنا بمعرفة الرب بضع سنين، ولكن لم يمتد سقف رجائنا لنكون مع الرب إلى الأبد، فأي شقاء نكون قد جزناه!

.. **وألا نُلقي رجاءنا "على غير يقينية** (عدم يقين أو هباء) **الغنى بل على الله الحي**" (١تي ٦:١٧). ولننصت إلى صوت الله الحاسم للغنى المتكل على أمواله: "**يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون. هكذا الذي يكنز لنفسه، وليس هو غنياً لله**" (لو ١٢:٢٠، ٢١). وما يقال على المال والممتلكات يقال على الذات أو المواهب أو الصحة أو القوة أو القدرة أو السلطان أو غيره؛ فالكل باطل وقبض الريح (جا ٢:١١)، ومآل الكل إلى التراب. أما الرجاء ففي الرب وحده وقوته وكلمته وخلاصه، أو كما يقول المرنم:

رجاءُ نفسي وحدَه دمُ يسوع واسمُه
ليس خلاصٌ بسواه بل برُّه المعطي الحياة
مسيحي صخري لا يزال وغيرُه الكلُ رمال

الفرح في التجارب والآلام

الفرح في التجارب والآلام[1]

الإنسان الطبيعى يضيق بالألم، ويرفض التجارب وينسحق تحتها. فهو في وحدته واستقلاله عن الله يفتقد العزاء في ضيقته، ويُجابه الآلام وحيداً متحيِّراً، حزيناً مهموماً، أو متبرِّماً محتجّاً، وربما في تمرُّده يكفر بعدل الله ومحبته.

بالإيمان تتغيَّر الأحوال. تنتهى غربة الإنسان ووحدته. وفي وقت الضيق وهجوم التجارب والآلام والأحزان يتمتع الإنسان بالحضور الإلهى **"طوبى للحزانى، لأنهم يتعزَّوْن"** (مت ٥: ٤)، وبوعد الرب المدوِّي في الآفاق على مدى الدهور **"أنا أنا هو مُعزِّيكم"** (إش ٥١: ١٢)، **"كإنسان تُعزِّيه أُمه هكذا أُعزيكم أنا"** (إش ٦٦: ١٣). وهكذا يُسلب من الضيقة ثقلها، ومن التجربة حصارها وهولها، ومن الألم شدَّته وسطوته.

---

(١) للفائدة يرجى الرجوع إلى مقال **"افرحوا"** في الكتاب **الأول** من **"نور الحياة"** للكاتب (٢٠١٠)، ص١٢٨-١٣٥.

+ والكتاب يُشجِّع المؤمنين على قبول الآلام بالصبر ويُطوِّبهم قائلاً "**إن كنتم تتألَّمون عاملين الخير فتصبرون، فهذا فضلٌ عند الله... إنْ تألَّمتم من أجل البر فطوباكم**" (**١**بط ٢: ٢٠؛ ٣: ١٤).

والمؤمن الحقيقى لا يتهيَّب التجارب بل يتوقَّعها ويتهيَّأ لها، فالله هو رفيق الضيقة، ومَن يجتاز معنا نيرانها: "**في كل ضيقهم تضايق**" (إش ٦٣: ٩). والذي كان يتمشَّى مع **الفتية** في الأتون، والذي أرسل ملاكه لنجدة **دانيال** وهو في جُب الأسود فسدَّ أفواهها "**هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب ١٣: ٨). ويقين حضوره وشركته هو ما يُخفِّف عن المؤمن ثقلها، بل هو يعتبرها مشاركة متواضعة في حَمْل النير والصليب واقتسام آلام الرب معه. ولا يهم بعدها أن تبقى التجربة أو تُرفَع، ففى كل الأحوال سينال المؤمن من الله بركاتها وتعزياتها.

+ والمؤمن متيقِّن أن كل ما يتحمَّله على الأرض محسوب في سفْر تذْكرة في السِّجل الإلهى ومرتبط بوعود لا تسقط: "**إن كنَّا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه**" (رو ٨: ١٧)، وأنَّ "**خفَّة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقَلَ مجد أبدياً**" (٢كو ٤: ١٧). فآلامنا مهما عظمت فهى مؤقتة وستنتهى، وهى حتماً لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا عند مجيء الرب (رو ٨: ١٨). فالآلام تجعل تزكية إيماننا"**توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح**" (١بط ١: ٦،٧).

فارتباط الآلام بالمجازاة، وارتباط الإيمان بالحياة الأبدية السعيدة، يُفجِّر ينبوعاً لا يُبارَى للفرح تتصاغر أمامه كل آلام الزمان الحاضر. وهكذا يحثُّنا معلِّمنا **القديس بطرس** أنه: "**كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين**" (١بط ٤: ١٣). ويحقُّ لمعلِّمنا **القديس يعقوب** أن يوصينا: "**احسبوه كل فرح، يا إخوتي، حينما تقعون في تجارب متنوعة**" (يع ١: ٢). **والقديس بولس** يُصرِّح: "**أُسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح**" (٢كو١٢: ١٠).

كما يكتب لأهل كولوسى من سجنه مبتهجاً "**الآن أفرح في آلامي لأجلكم. وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة**" (كو١: ٢٤).

+ **الفرح في الألم** هو قرين طبيعى **للإيمان**، وهو شهادة أمام الله والنفس والعالم على صدْق الإيمان وحيويته واستقامته. وكلما نما الإيمان كلما ساد الفرح والصمود وسط التجارب مهما كانت شدَّتها؛ وبالمقابل فإنَّ قبول الآلام بالرضا والفرح يُدعم الإيمان، ويدفع به إلى آفاق أرحب، ويُهيِّئه للتعامُل مع تجارب أشدَّ وأقسى، وهكذا يتمجَّد المؤمن أكثر.

+ يأتي **الفرح** أيضاً من يقين الإيمان أنَّ "**كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله**" (رو ٨: ٢٨)، ومن هنا يسود الفرح في المسيح والطمأنينة إلى كمال عمله وحكمته التي لا تُحَدُّ إذا هاجمتنا الهموم والآلام.

ولا يعنى **الفرح** هنا السرور والبهجة الخارجية، وإنما حالة السلام والتعزية الساطعة التي تتجاوز حدود التجربة والألم، أو حتى دموع الحزن النبيل على فقدان الأحبَّاء أو تعثُّرهم أو اجتيازهم المحن، وهو ما لا يختبره غير المؤمنين: "**لا سلام، قال الرب، للأشرار**" (إش ٤٨: ٢٢؛ ٥٧: ٢١)، "**ليس كما يُعطى العالم أُعطيكم أنا**" (يو ١٤: ٢٧).

+ لا نضيف جديداً إن ذكرنا أنَّ الآلام والتجارب ليست وقفاً على المؤمنين، ومعلِّمنا **القديس بطرس** يُخاطبنا مؤكِّداً: "**أن نفس هذه الآلام تُجرَى على إخوتكم الذين في العالم**" (١بط ٥: ٩). فالآلام لا تَستثني أحداً، وهى عنصر أصيل في حياتنا الزمنية التي من سماتها النقص والقصور. وبينما الأفراح كالسحاب تنقشع سريعاً، فإنَّ الآلام والهموم، والأمراض شديدة الوطأة، والمجاعات والحروب وكوارث الطبيعة وضحاياها بالملايين؛ تجثم على البشر أينما كانوا.

ولكن ما يُساندنا أيضاً في قبولنا للآلام بالشكر والفرح، هو أن كثيرين في العالم من حولنا نالوا قوة من فوق، واستطاعوا مُغالبة مصاعب حياتهم، ولم ينحصروا في آلامهم؛ بل سَعَوْا لخدمة الذين هم في كل ضيقة بالقوة التي نالوها من الله[٢].

---

(٢) فهناك المعاقون الذين ولدوا بغير أطرافهم أو من فقدوها في الحوادث والحروب، ولكنهم يتغلبون على إعاقتهم وتعلموا أن يؤدوا كل أعمالهم اليومية بما بقى من أطرافهم، ومنهم من يستخدم القدمين في العزف على البيانو أو الجيتار بل وقيادة السيارة والطائرة!

وفي (٢٠٠٩/٩/٢٤) ظهرت على شاشة التليفزيون السيدة التي أطلقوها عليها لقب **"الأم المقاتلة لهذا العقد"** The mother warrior of the decade وهي التي أصيبت بعد ولادتها لطفلتها الثانية ببكتيريا تلتهم عضلاتها، وأجرت ٢٧ عملية جراحية أدت في النهاية إلى بتر ذراعيها وساقيها إضافة إلى الرحم والمبيضين والقولون والبنكرياس والمرارة، ولكنها تحدّت إعاقتها وتعلمت كيف تمشي وترعى صغيريها. وبينما توقع الجميع موتها قاومت واحتملت وساعدها إيمانها، وظهرت كي تشجّع من يعانون مثلها.

وقبل حوالي عامين (٢٠١٠/١٠/٢٢) رأينا الأميريكية **جوني أريكسون** التي أصيبت في حادث قبل أربعة عقود (١٩٦٧) نجم عنه شلل رباعي كامل أقعدها تماماً حتى أنها حاولت الانتحار مرة. ولما لم تنجح سألت الله إذا كان لا يريد موتها فليعلمها كيف تعيش. وبعد ١٥ سنة من العجز (١٩٨٢) التقت كِن تادا Ken Tada الأسيوي الذي تزوجها وكان لها نِعْم المساعد بدءاً من غسل وجهها حتى حَمْلها إلى السيارة. وفوق هذا أُصيبت بسرطان الثدي الذي تم استئصاله وخضعت للعلاج الكيميائي. ولكنها استطاعت أن تتغلب على إعاقتها وآلامها السنين الطوال وبدأت تتجه لخدمة الآخرين، فأسست جمعية لمساعدة المعاقين وإمدادهم بالكراسي المتحركة. ثم صارت عضواً في اللجنة الأميريكية للدفاع عن حقوق المعاقين في البيت الأبيض، وتعاملت مع الرؤساء من ريجان إلى أوباما. وفي السنوات الأخيرة امتدت خدمتها إلى المعاقين في ١٠٥ بلداً ضمنها مصر والدول العربية. وهي ترسم لوحات والفرشاة بين أسنانها. وتكتب وتلحن ترانيم معزية ومشجعة، كما كتبت ٣٥ كتاباً تُرجم بعضها إلى العربية. وهكذا صارت باحتمالها تعزية لكل من أقعدهم المرض والعجز.

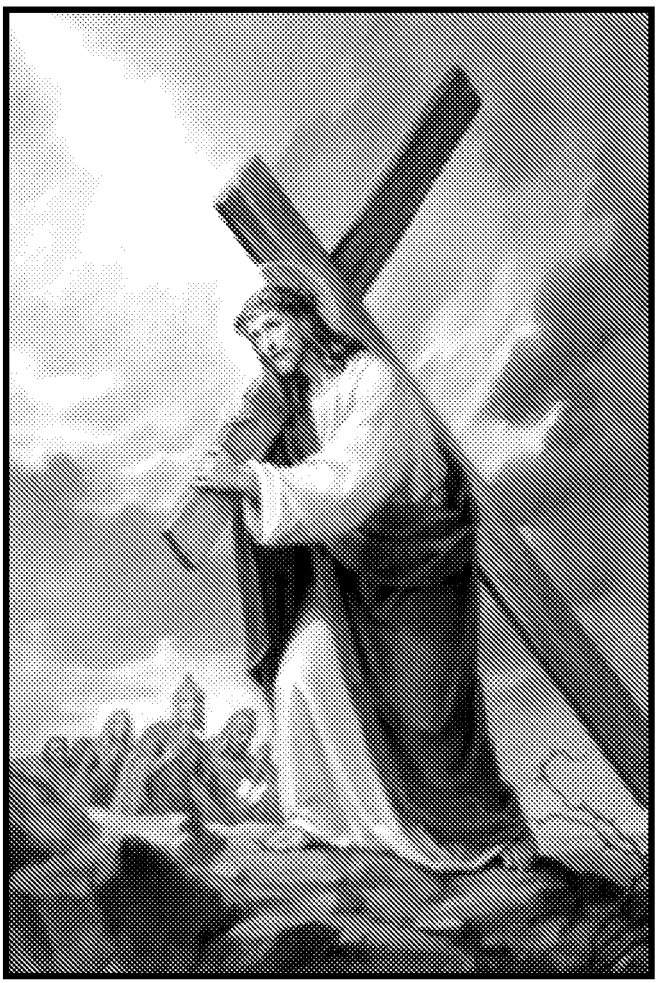

" إن أراد احد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه و يحمل صليبه ويتبعني"

(مت ١٦ : ٢٤)

الصبـــــر

+ الصبر قرين الإيمان
+ الصبر قرين الرجاء
+ الصبر قرين المحبة
+ الصبر في العبادة والخدمة
+ الصبر في التعامل مع الآخرين
+ الصبر في التعامل مع السلطات
+ الرب طويل الأناة
+ صبر القديسين

الصبر قرين الإيمان

الصبر هو بطبيعته أحد الفضائل الأخلاقية التي يلجأ إليها الناس عند مواجهة بعض مصاعب الحياة الصغيرة[١] والكبيرة[٢] أو لتحقيق أهدافهم في الحياة[٣].

والناس يتغنُّون بالصبر ويقولون فيه الأمثال. ورغم امتداحه إلاَّ أنه يُوصَف

---

(١) فالصبر مطلوبٌ عند التعامُل مع الغضوب لتفادي الصدام، والتمهُّل في ردِّ الفعل عند المواجهات الصعبة لمنع التصعيد. وهو مطلوب لتحمُّل طول انتظار وسيلة مواصلات تتأخر، أو في عيادة طبيب تفتقد النظام، أو أثناء الوقوف في صف طويل يتحرَّك ببطء، وغيره من ظروف الحياة اليومية.

(٢) كالأمراض الشديدة والآلام والخسائر وفقدان الأحباء، أو أمام ظُلم الأقوياء وتجبُّرهم والعجز عن مجابهتهم.

(٣) فالتلميذ في سنوات دراسته الطويلة يُسانده الصبر وطول الأناة لبلوغ الأمل، والفلاح يبذر البذار ويتعهَّد الزرع وينتظر الحصاد صابراً مترجِّياً الثمر. وكل عمل وإنتاج فكري أو يدوي يقتضي المثابرة وبَذْل الجهد حتى يؤتي ثماره. فالعالم والكاتب والشاعر والفنان والباحث والمخترع، كل منهم ينكبُّ على عمله في صبر الناسك، عاكفاً على مشروعه حتى يبلغ مُراده. وكل رئيس وقائد ومسئول على كل مستوى يحتاج إلى الصبر والتروِّي حتى تكون قراراته صائبة. وفقدان الصبر والتسرُّع في اتخاذ القرار قد يقود إلى كارثة يُعاني منها الجميع.

بالمرارة والنُّدرة. وفي عالم النبات سُمِّي الصبَّار Cactus بهذا الاسم لتحمُّله الحياة في الصحاري[٤]، وباقترانه بالمرارة الشديدة صار تجسيداً للسائد الشعبي عن صعوبة التحلِّي بالصبر وقسوته.

فالإنسان الطبيعي لا يَقوَى على الصبر طويلاً. وما أسهل ما يضيق بمعاناته فيغضب وينفجر بعد أن ينفد صبره. ومن هنا يمتدح الكتاب مَن يُجاهد فيقتني الصبر ويُمارسه مستنداً إلى نعمة الله، حتى أنَّ الحكيم سليمان يكتب: "**الطويل الأناة خير من الجبَّار، ومالك نفسه خير من فاتح مدينة**" (أم ١٦: ٣٢)، "**ببطء الغضب يُقنع الرئيس، واللسان اللَّيِّن يكسر العظم**" (أم ٢٥: ١٥)، "**طول الروح خيرٌ من تكبُّر الروح**" (جا ٧: ٨). ويترادف الصبر مع طول الأناة والتأنِّي والاحتمال، كما يقترن بالوداعة والتسامُح والحلم وضبط النفس والصمت والهدوء.

نعم، **فالصبر فضيلة كبرى**، ورفيق أثير ليس فقط للإيمان بل وللرجاء والمحبة وكل نشاط روحي للمؤمن.

□ أمَّا أن **الإيمان** يستدعي **الصبر** ["**الإيمان والمحبة والصبر**" (تي ٢: ٢)، "**إيماني وأناتي ومحبتي وصبري**" (٢تي ٣: ١٠)؛ "**اتْبَع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة**" (١تي ٦: ١١)] فواضح من أن الإيمان بطبيعته يتعامل مع ما نترجَّاه ومع ما لا يُرَى وليس بين أيدينا، ومن ثمَّ "**فإننا نتوقَّعه بالصبر**" (رو ٨: ٢٥).

فالصبر، الذي هو الانتظار الصامد الواثق بغير تراجُع ["**إيَّاك انتظرتُ اليوم كله**" (مز ٢٥: ٥)؛ "**انتظر الرب واصبر له**" (مز ٣٧: ٧)]، يُشدِّد الإيمان وقت الضيق، ويحفظ حيويته وصلابته ويقيه من الارتداد إلى أن يتحقَّق

---

(٤) ويُقابله، في عالم الحيوان، **الجمل** الذي ينفرد بصبره البالغ على العمل الشاق، واحتمال العطش والجوع لأسابيع، حتى سُمِّي **بسفينة الصحراء**.

ما يرجوه المؤمن: "**فلا تطرحوا ثقتكم** (أي لا تتراجعوا عن إيمانكم) **التي لها مجازاة عظيمة، لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد** (تحقيق وعود الله)" (عب ١٠: ٣٥،٣٦).

وفي المقابل، **فالإيمان** يمدُّ في حبال **الصبر** ويُطيل أمده قوياً ناهضاً، ويحفظه من النكوص والنفاد: "**هنا صبر القديسين وإيمانهم**" (رؤ ١٣: ١٠).

فآلام الحياة وتجاربها تجعل من الصبر حتمية ومظلة يحتمى تحتها المؤمن حتى تعبُر شمس المحن. كما أنَّ الجهاد المطلوب للنصرة يقتضى الصبر: "**صابرين في الضيق**" (رو ١٢: ١٢)، "**عالمين أن الضيق يُنشئ صبراً**" (رو ٥: ٣،٤)، "**احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة، عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشئ صبراً**" (يع ١: ٢).

وإذا كان الرب يُطالبنا أن نصبر "**إلى المنتهى**" كى ننقذ أنفسنا (لو٢١: ١٩)، ونتمتع بتمام الخلاص والدخول إلى الملكوت (مت ١٠: ٢٢؛ ٢٤: ١٣؛ مر ١٣: ١٣)؛ فهو من ناحية، قد تعهَّد بأن يضبط ثقل التجربة حتى يمكن احتمالها: "**ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا**" (١كو١٠: ١٢)؛ ومن ناحية أخرى، فهو قد وهبنا الصبر (طول الأناة) كأحد ثمار الروح (غل ٥: ٢٢)، لأن الصبر في حقيقته يتجاوز قدراتنا الإنسانية، وأيضاً لكى يُتاح له أن يعمل عمله التام: "**لكى تكونوا تامين وكاملين وغير ناقصين في شيء**" (يع ١: ٤)، أي إلى نهاية التجربة: سواء كانت مرضاً أو آلاماً [**كأيوب** البار: "**الرب أعطى الرب أخذ، ليكُن اسم الرب مُباركاً**" (أي١: ٢١)]؛ أو اضطهاداً وقبولاً للموت [**كالقديس بولس**: "**وأخيراً وُضعَ لي إكليل البر**" (٢تي ٤: ٨)]؛ أو حتى تحقيق الوعد كما صار لأبينا **إبراهيم**: "**وهكذا إذ تأنَّى نال الموعد**" (عب ٦: ١٥)، **وزكريا** الكاهن: "**مُبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه**" (لو١:٦٨)، **وسمعان** الشيخ: "**الآن**

تُطلق عبدك يا سيِّد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك" (لو ٢: ٢٩، ٣٠).

فصبر الإنسان الطبيعى هو تصرُّف المظلوم العاجز قليل الحيلة، المقترن بالضيق والنقمة وعدم الرضا؛ بينما صبر المؤمن يقترن باليقين والطمأنينة والفرح، كما يخلو من البغضة والتشفِّى وانتظار الانتقام. وهو عنده ليس عارضاً مؤقتاً، وإنما منهج حياة وعنصراً أصيلاً في إيمانه المسيحى يُمارسه من أجل طاعة المسيح: "**لأني لك يا رب صبرتُ"** (مز ٣٨: ١٥)؛ "**إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون، فهذا فضلٌ عند الله"** (١بط ٢: ٢٠)، والرب يُسانده بالجزاء الأبدي إذا نجح في الاختبار: "**طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكَّى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه"** (يع ١: ١٢)، "**كُن أميناً إلى الموت فسأُعطيك إكليل الحياة"** (رؤ ٢: ١٠).

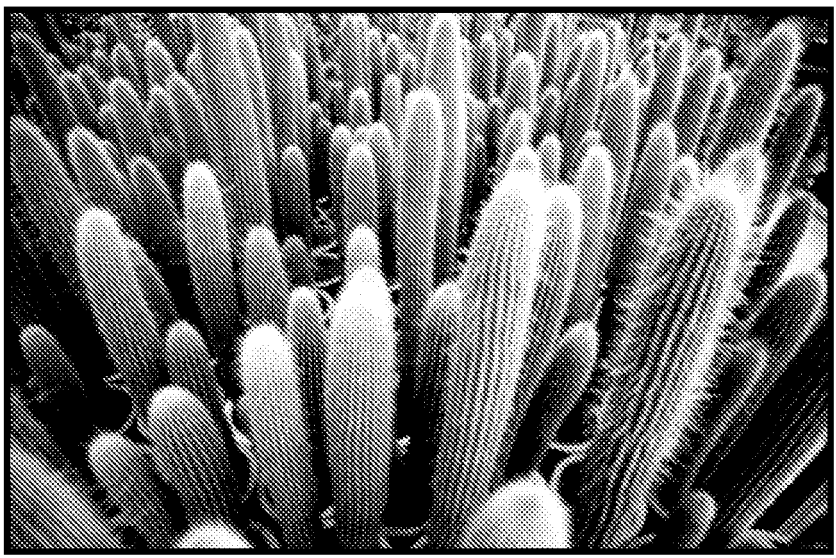

نبات الصبار

الصبر قرين الرجاء

إذا كان الإيمان يُنشئ الرجاء ويستدعى الصبر ويقترن به، فالرجاء هو أيضاً يستدعى **الصبر** ويقترن به: "متذكِّرين بلا انقطاع عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، **وصبر رجائكم، ربنا يسوع المسيح، أمام الله وأبينا**" (١تس ١: ٣). فالصبر يُساند الرجاء المسيحى ويُتيح له أن يتوهَّج ولا يخيب أو يخبو:

"لأننا بالرجاء خلَصْنَا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً (لأن ما ينظره أحدٌ كيف يرجوه أيضاً؟) **ولكن إنْ كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقَّعه بالصبر**" (رو ٨: ٢٤،٢٥)؛

"عالمين أن الضيق يُنشئ صبراً، **والصبر تزكية، والتزكية رجاء**" (رو ٥: ٤)؛

"لأن كل ما سبق فكُتب كُتب لأجل تعليمنا، **حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاءً**. وليُعطكم **إله الصبر والتعزية** أن تهتموا اهتماماً واحداً" (رو ١٥: ٤،٥).

كما أن صمود الصبر وامتداده يعتمد على تعالي ثقة الرجاء ويقينه مهما تكاثفت السُّحُب وطال الليل، فإن خاب الرجاء نفد الصبر وانهار المؤمن تحت وطأة التجربة، **فالصبر والرجاء صنوان ولا يستغني أحدهما عن الآخر.**

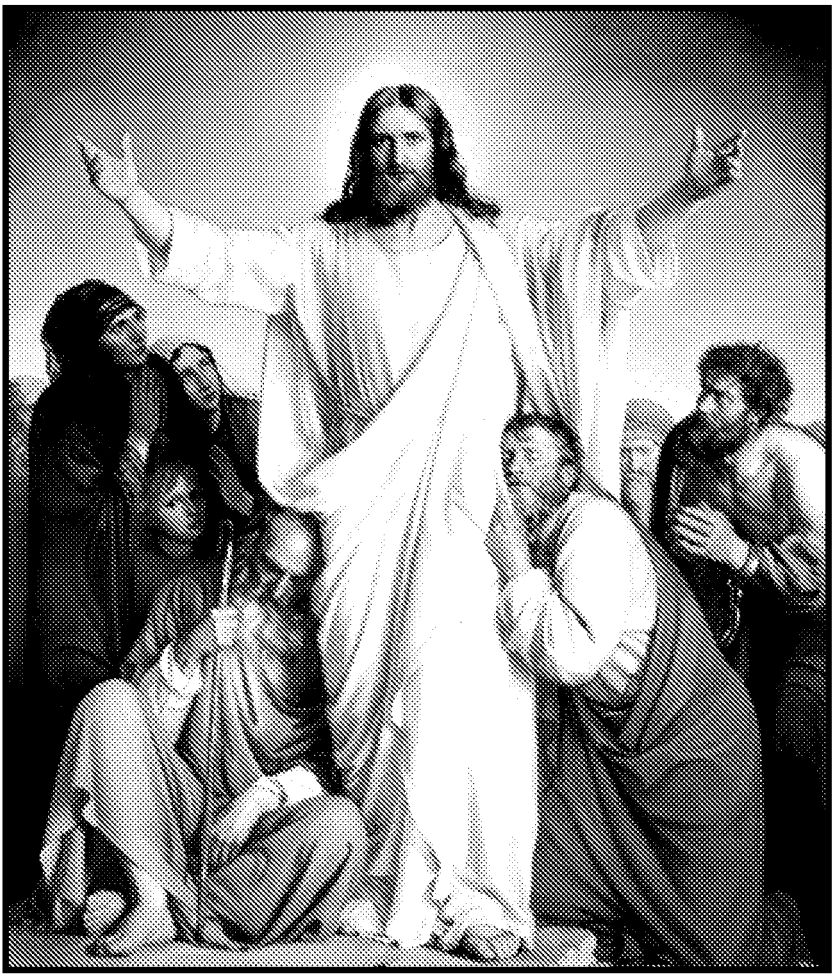

"كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا" (إش٦٦:١٣)

الصبر قرين المحبة

في شريعة المسيح أنَّ المحبة الحقيقية هى التي تتسع للقريب والغريب، للصديق والعدو، والتي تبذل إلى آخر المدى بغير تحفُّظ: "**ليس لأحد حُبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه**" (يو ١٥: ١٣)، وقد قدَّم المسيح نفسه نموذجاً لها عندما أحب حتى الموت موت الصليب.

ليس غريباً إذاً أن يُقال إن المحبة: "**تتأنَّى وتَرْفُق.. وتحتمل كل شيء.. وتصبر على كل شيء**" (١كو ١٣: ٤،٧)، وتُطيل أناتها على مَن يقابلوها بالعداء والكراهية، أو حتى مَن يرفضوها ويولّون ظهورهم لها بل يعتبروها كافرة ويُحلِّلون دمها: "**تأتي ساعة فيها يظن كل مَن يقتلكم أنه يُقدِّم خدمة لله**" (يو١٦: ٢).

المحبة هى هبة الروح، وهو (الروح) الذي يُساند المؤمن بالصبر والأناة حتى تستوعب محبته الكل، وتغلب بُغضة البعض. كما أنَّ المحبة بدورها تُجرِّد الصبر – وقت الضيقات – من المرارة والتشفِّي وترجِّي سقوط المُضايقين.

الصبر في العبادة والخدمة

الصبر عنصر أساسى في كل ألوان العبادة. فالجهاد والاجتهاد والتغصُّب (مت١١: ١٢) يقتضى الصبر والمقاومة والصمود في معارك الحياة وساعة التجربة: "**ولنُحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا**" (عب ١٢: ٣).

+ فلكى نتمتع **بالصلاة**، لابد من التركيز وحَصْر الفكر في الله، والانحصار في الروح، وبذل الجهد، وعدم الانصياع لضعف الجسد والسأم. فالصبر والأناة مطلوبان في الصلاة الفردية والجماعية وأثناء القداس. والذين يفقدون صبرهم سريعاً يخرجون صفر اليدين، ورغم الممارسة الطويلة الخاوية فهم لا يتقدَّمون خطوة في معرفة الله والاتصال به.

+ ولكى يصبح اللهج في **كلمة الله** جزءاً من حياة المؤمن اليومية، فهو يحتاج إلى الصبر كى يُعطى كلمة الله حقها من التدقيق والفهم والتأمُّل والحفظ والتوقير، ومنْ ثمَّ ينال الثمر "**ويُثمرون بالصبر**" (لو ٨: ١٥). النفس المملولة الطائشة لا تُحصِّل كثيراً لا في دراسة علمية ولا في حفظ كلمة الله واللهج بحسبها. ربما اضطرتها الدراسة والحصول على مؤهِّل أن تبذل بعض الجهد الذي

قد لا تُوفِّره لمعرفة كلمة الله، ولكننا بغير قسر النفس على التعامل الدائب مع كلمة الله وحفظها والتآلف معها، واستيعابها واتقانها كلغة المؤمنين، نكون كالأغراب وسط عائلة الرب، ونتحوَّل إلى مسيحيين بالاسم، ويصير الرب بالنسبة لنا كما هو لغير المؤمنين!

+ كما أنَّ **الصوم**، بشقَّيه الروحى (وهو الأهم) والجسدي، وما يتضمنه من جهاد في ضبط الفكر ونقاوته واقترانه بانتعاش ضروب العبادة الأخرى من توبة وتأمُّل في كلمة الله، وعدم الانشغال بأمور الطعام والتحرر من التعوُّد على بعض طقوسه: **"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"** (تث ٦: ١٣؛ مت ٤: ٤؛ لو ٤: ٤) واحتمال الجوع – مثل الملايين من فقراء العالم – بكل رضىً؛ كل هذا يستدعى الصبر والاحتمال لكى تُؤتي فترة الصوم، طالت أم قصرت، ثمارها في تغيير الذهن والقلب، والتحرُّر من قيود الجسد وضبط الغضب والشهوات، والتآلف مع كلمة الله والصلاة.

+ يمكن القول إنَّ كل عمل صالح وجهد روحى، وخدمة الله والكرازة باسمه؛ كلها تحتاج إلى الصبر: **"أنا عارفٌ أعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصبرك"** (رؤ ٢: ١٩)، **"أما الذين بصبر في العمل الصالح"** (رو ٢: ٧). وفي الخدمة يصبر الخادم ويتأنَّى على مخدوميه، ويحتمل توانيهم من أجل خلاصهم: **"لأجل ذلك أنا أصبر على كل شيء لأجل المختارين، كي يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجد أبدي..** إن كنا قد مُتنا معه فسنحيا أيضاً معه .**إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه"** (٢تي ٢: ١٠،١٢)؛ "ولسنا نجعل عثرة في شيء لئلا تُلام الخدمة. بل **في كل شيء نُظهر أنفسنا كخدَّام الله في صبر كثير"** (٢كو ٦: ٣،٤)، **"فاشترك أنت في احتمال المشقَّات كجندي صالح ليسوع المسيح... مؤدِّباً بالوداعة المقاومين** عسى أن يُعطيهم الله توبة لمعرفة الحق، فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته" (٢تي ٢: ٣،٢٥،٢٦).

الصبر في التعامُل مع الآخرين

تحثنا كلمة الله على التأنّي والصبر والتسامح في التعامُل مع الآخرين خاصة الصغار الذين لا يُدركون، والمضطربين نفسياً، والعنفاء، والذين يُسبِّبون المشاكل سواء في البيت (بين الزوجين أو بين الوالدين وأولادهما)، أو أماكن العمل (سواء مع الرؤساء أو الزملاء أو العملاء)، أو الكنيسة (بين الخُدَّام أو بينهم وبين مخدوميهم)؛ فهذا على الأقل يمنع تداعى المواقف إلى الأسوأ، كما أنه يُجنِّبنا الأخطاء التي تُرافق الغضب وانفلات الزمام ومقابلة الأخطاء بمثلها، وقد يفتح الباب إلى الحلِّ وعودة السلام:

"فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات، ولُطفاً، وتواضعاً، ووداعة، وطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان لأحد على أحد شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم

أيضاً. وعلى جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال" (كو٣: ١٢-١٤)؛

"..أن تسلكوا.. بكل تواضع ووداعة وبطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً في المحبة" (أف ٤: ٢)؛

"وكونوا لُطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين، كما سامحكم الله أيضاً في المسيح" (أف ٤: ٣٢)؛

"شجِّعوا صغار النفوس. أسندوا الضعفاء. تأنَّوْا على الجميع" (١تس ٥: ١٤)؛

"...حُلماء مُظهرين كل وداعة لجميع الناس" (تي ٣: ٢).

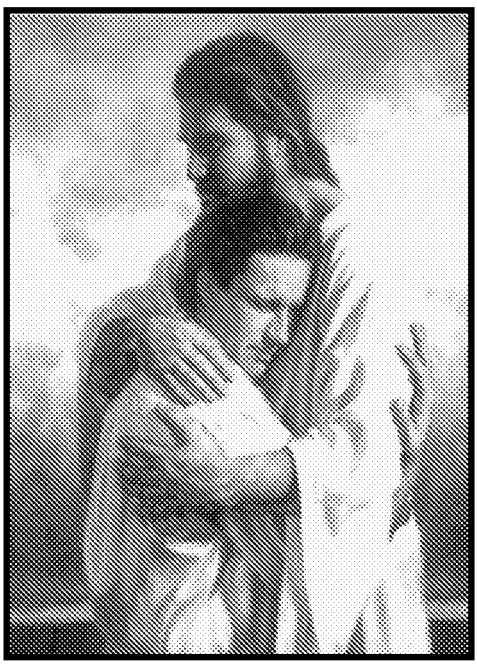

"شجعوا صغار النفوس" (١تس ٥:١٤)

الصبر في التعامل مع السلطات

يُبيِّن الكتاب أنَّ: "**الرب مُجري العدل والقضاء**" (مز ١٠٣: ٦)، وأنَّ **العدل أساس الحُكْم** (لا ١٩: ١٥؛ أم ٢٩: ٤)، وأنَّ الأصل أن الحاكم هو : "**خادم الله للصلاح... مُنتقم للغضب من الذي يفعل الشر**" (رو١٣: ٤)، وبالتالي فإنه ينبغى الخضوع له التزاماً بالضمير المسيحى وليس خوفاً من العقوبة (رو ١٣: ٥)، وتصير مقاومته مقاومة لترتيب الله: "**والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة**" (رو ١٣: ٢).

فإذا انحرف صاحب السلطان (سواء كان الحاكم أو مَن يُمثِّله على كل المستويات) عن الحق والعدل، وصار ظالماً مُستبدّاً، يصبح كمَن يستقيل من خدمة الله، ويحقُّ عندها التصدِّي له وتقويمه بكل الوسائل المشروعة. فماذا إن كانت الظروف السائدة لا تُتيح مساءلته وإجباره على الإذعان للحق؟ ليس أمام المؤمن الفرد عندها غير الصبر عليه وتحويل الشكوى إلى مَن بيده كل أمر (عب ٤: ١٣)، القاضى العادل (مز ٧: ١١)، والمكتوب عنه قوله: "**لي النقمة. أنا أُجازي**" (تث ٣٢: ٣٥؛ رو ١٢: ١٩).

ولكن هذا الصبر النبيل لا يعني الخنوع والاستسلام للظلم بالصمت والسكون، وإنما بالصمود واحتمال الآلام (١بط ٢: ١٩، ٢٠)، والمجاهدة أمام الله وطلب تدخُّله بغير هوادة، واستنهاض همم الآخرين باحترام كرامتهم الإنسانية الممنوحة من الله، ورفض إهانتها من قِبَل الحاكم المستبد. وما لا يَقوَى عليه المؤمن منفرداً تستطيعه الجماعة المتحدة، وبمساندة الله الذي **"يقضي بالعدل للمساكين"** (إش ١١: ٤) يسود الحق ويتراجع الظلم.

فهو صبر الأقوياء الصابرين، لا صبر الضعفاء الخانعين. والمؤمن الصابر يظل متأهِّباً في انتظار الوقت المناسب الذي تُعيِّنه إشارة الله وإرشاد الروح، كي يبدأ التحرُّك تحت قيادة الله، صارخاً من أجل رفع الظلم وتحقيق العدل بغير تجاوز للوصية قولاً أو فعلاً[1].

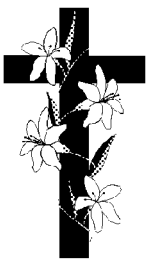

(١) كانت **ثورة الشعب المصري** السلمية بكل أطيافه في ٢٥ يناير ٢٠١١ نموذجاً لانتفاضة من صبروا طويلاً كي ينالوا حقوقهم فساندهم **"الرب الديان العادل"** (٢تي ٤: ٨). وقبلها كانت **ثورة الاستقلال المصرية** سنة ١٩١٩، **والمقاومة السلبية الهندية** بقيادة **غاندي وحركة الحقوق المدنية** للسود الأمريكيين بقيادة **مارتن لوثر كينج** أواسط القرن الماضي. وكلها كانت هبّات جماعية سلمية حققت أهدافها بغير عنف. ولكن الخوف في مثل هذه الحركات التي قد تضم الآلاف أو الملايين أنها قد تُقاوم بقسوة من قبل السلطات المتمسكة باستبدادها، أو أن تُستغل من الخارجين على القانون ويعيثون فساداً، كما قد يندس فيها المغرضون، فتنقلب دموية ويحل الخراب ويموت أبرياء كثيرون ضحايا العنف والانتقام المتبادل.

من هنا يتحتم أن يكون اللجوء إلى الثورات – حتى السلمية منها – هو آخر الوسائل للحصول على الحقوق، وقبلها تكون الشكوى واللجوء إلى التقاضي والاحتجاج والمسيرات والتظاهرات الموقوتة، مع الحفاظ على سلامة الوطن وأمن المواطن ودوام العمل. ومكتوب أن **"الله ليس إله تشويش بل إله سلام"** (١كو١٤: ٣٣) وهذا ينطبق على الوطن الأرضي كما ينطبق على الكنيسة.

الرب طويل الأناة

نحن في التحافنا بالصبر، نقتدي بإلهنا الصالح الطويل الروح "**إلـه الـصبر والتعزيـة**" (رو ١٥: ٥). ولكن إن كان صبرنا وطول أناتنا كمؤمنين هـو ضرورة لنجاح حياتنا الروحية ونواحي عبادتنا، كما أنَّ ممارستنا لأي من الفضائل الروحية الأساسية تتطلَّب الصبر واللطف والوداعة والتأنِّي والاحتمال؛ فإنَّ الله – في المقابل – وهو يُطيل أناته، لا يفعل ذلك مُضطراً. فالخزَّاف لـه السلطان بإزاء كتلة الطين بين يديه أن يصنع منها آنية للكرامة أو للهوان (رو ٩: ٢١). ولكن مع هذا، إذ يُغلب الله من محبته، يصبر على خليقته الخاطئة كي ترجع عن فسادها وتخلص: "**فماذا إن كان الله وهو** (أي في الوقت الذي) **يريد أن يُظهر غضبه ويُبيِّن قوته، احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مُهيَّأة للهلاك، ولكي يُبيِّن غنَى مجده** (نعمته) **على آنية رحمة قد سبق فأعدَّها للمجد التي أيضاً دعانا نحن إيَّاها**" (رو ٩: ٢٢-٢٤).

وعلى مدى تاريخ الله مع الإنسان، كان إمهاله وطول أناته هو رجاء البشر

في غفران خطاياهم، محتمين في محبته التي ظهرت جليَّة في موت ابنه من أجل خلاصهم: "**لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا**" (رو ٥: ٨)؛ "**متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه من أجل الصَّفْح عن الخطايا السالفة بإمهال الله**" (رو ٣: ٢٤، ٢٥)

+ ومنذ فجر الخليقة والله يحتمل غلاظة قلب الإنسان، ويُطيل أناته عليه، ولا يشاء هلاكه، بل أن يَخلُص ويحيا:

o فهو إذ يُنذر بالطوفان، يجعل نوحاً يقضي أكثر من مائة عام يبني الفُلك، كانت خلالها أناة الله تنتظر رجوع العُصاة الذين كانوا يرون بعيونهم هيكل الفُلك وهو يرتفع دون أن يرعووا، بل لعلهم كانوا يسخرون من نوح وهو يُواصل البناء مُثابراً كل هذه السنين دون بادرة في الأُفق أن طوفاناً ينتظر. بل إنَّ الله في أناته حدَّد سبعة أيام أخيرة مهلة قبل أن يأمر ينابيع الغمر العظيم أن تنفجر وتنفتح طاقات السماء (تك ٧: ٤، ١١).

o وكم احتمل الرب تقسّي قلب إسرائيل بعد إخراجهم من مصر بذراع رفيعة وأطال أناته عليهم رغم تذمُّرهم وعصيانهم على مدى الأجيال، وكيف كان يرجع عن حمو غضبه ويُسامحهم إذا رجعوا وتابوا. وكم أسلمهم للسبي لتأديبهم ثم يعود فيصفح عنهم ويُعيدهم إلى ديارهم.

o والرب أطال أناته على شعب نينوى الغارق في الإثم، وأرسل لهم يونان يكرز لهم بالتوبة وأعطاهم مهلة أربعين يوماً. وإذ رجعوا عن طريقهم الرديئة يقول الكتاب "**ندم الله على الشر الذي تكلَّم أن يصنعه بهم، فلم يصنعه**" (يون ٣: ١٠)، وقال يونان "**لأني علمتُ أنك إله رؤوف ورحيم، بطيء الغضب كثير الرحمة، ونادم على الشر**" (يون ٤: ٢).

+ وها هى آيات الكتاب تشهد على أنَّ الله في محبته يتأنَّى على الخطاة ولا يشاء هلاكهم، بل أن يرجعوا ويخلصوا:

"**الرب إله رحيم ورؤوف، بطئ الغضب، وكثير الإحسان والوفاء**" (خر ٣٤: ٦)؛

"**الرب طويل الروح، كثير الإحسان**" (عد ١٤: ١٨)؛

"**الرب رحوم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة**" (مز ١٠٣:٨)؛

" **الرب كثير الرحمة ورؤوف**" (يع ٥: ١١)؛

"حيٌّ أنا يقول السيد الرب :**إني لا أُسرُّ بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا**" (حز ٣٣: ١١)؛

"ولكن الآن يقول الرب: ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح. ومزِّقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم، **لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر، لعلَّه يرجع ويندم فيُبقي وراءه بركة تقدمة وسكيباً للرب إلهكم**" (يؤ ٢: ١٢-١٤)؛

"ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، **وليَتُب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يُكثر الغفران**" (إش ٥٥: ٧)؛

"لا يتباطأ الرب عن وعده (كما يظن البعض) .. **لكنه يتأنَّى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أُناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة... واحسبوا أناة ربنا خلاصاً**" (٢بط ٣: ٩،١٥).

+ وفي ختام صلوات السواعى في كنيستنا يُنادي المُصلِّى: "**المسيح إلهنا الصالح، الطويل الروح، الكثير الرحمة، الجزيل التحنُّن، الذي يحب الصدِّيقين ويرحم الخطاة** (الذين أولهم أنا)، **الذي لا يشاء موت الخاطئ مثل ما يرجع ويحيا، الداعي الكل إلى الخلاص لأجل الموعد بالخيرات المنتظرة**".

+ الرب ينتظر، مقابل رأفته وطول أناته وبطء غضبه، أن يستجيب الخاطئ فيرجع ويحيا، ويدَّخر الغضب لمَن يستهين بمحبته وإمهاله:

"أم تستهين بغنَى لُطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أنَّ لُطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تَذْخَرُ لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيُجازي كل واحد حسب أعماله. أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء (عدم الموت أو عدم الفساد)، **فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزُّب، ولا يُطاوعون للحق بل يُطاوعون للإثم، فَسَخطٌ وغضب"** (رو ٢: ٤-٨).

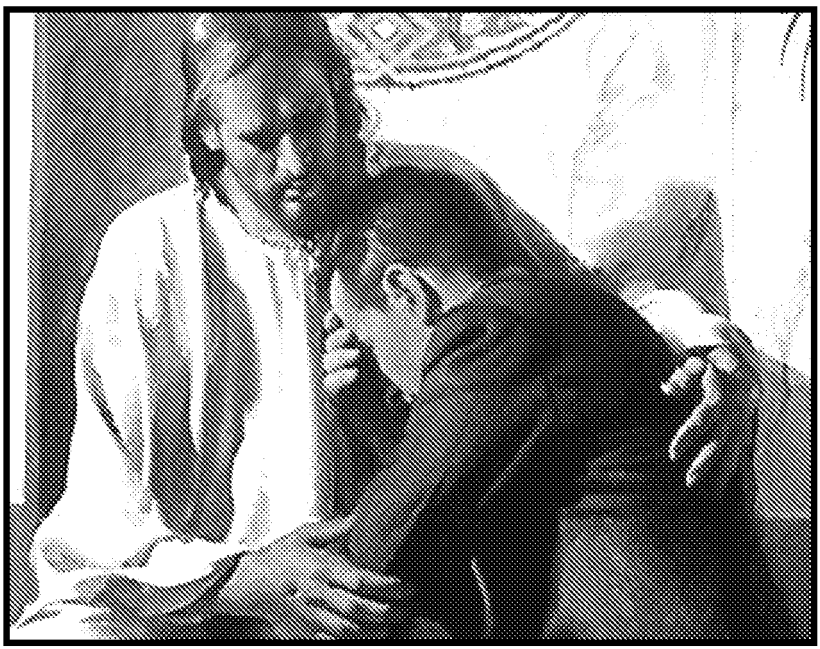

"الرب رحوم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة" (مز ١٠٣: ٨)

صبـــر المسيـــح

القديس بولس يبتهل إلى الله من أجل شعب كنيسة تسالونيكى، فيكتـــب قائلاً: "**والرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح**" (٢تس ٣: ٥). وفي رسالته إلى العبرانيين يُوجِّه نظر كل مضطهَد نحو المـــسيح: "**نـــاظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع**، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، **احتمل الصليب مستهيناً بالخزي... فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومـــة لنفسه مثل هذه لئلا تَكلوُّا وتخوروا في نفوسكم**" (عب ١٢: ٢،٣). فمثالهم هو الذي "**ظُلم، أما هو فتذلَّل ولم يفتح فاه. كـــشاة تُـــساق إلى الـــذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه**" (إش ٥٣: ٧؛ أع ٨: ٣٢).

فالرب هو مثال الصبر والاحتمال وطول الأناة، حتى وهو يُـــساق مـــن الخطاة إلى الصليب من أجل خلاصهم. وعلى نهجه يتحمَّل كل مَن دُعىَ تلميذاً الآلام والضيقات بالصبر والأناة بكل فرح ورجاء، موقناً من وعد الله أنَّ آلامنا معه هى طريقنا إلى مجده: "**إن كنا نتألم معه، لكـــي نتمجَّـــد أيـــضاً معـــه**" (رو ٨: ١٧)؛ "**إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه**" (٢تي ٢: ١٢)؛ "**لأعرفـــه**

وقوة قيامته وشركة آلامه مُتشبِّهاً بموته، لعلّي أبلغ إلى قيامة الأموات" (في ٣: ١٠،١١). وفي رؤياه يكتب **القديس يوحنا**: **"أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره"** (رؤ ١: ٩).

+ وفي أيام خدمته على الأرض، انتهر الرب تلميذيه **يعقوب ويوحنا** على ضيق صدرهما وعدم تسامحهما بإزاء قرية للسامريين لم تقبل دخول الرب إليها، فسألا الرب أن يُعاقبها على رفضها بأن تنزل نار من السماء فتفنيها، قائلاً لهما: **"لستما تعلمان من أي روح أنتما، لأن ابن الإنسان لم يأت ليُهلك أنفس الناس بل ليُخلِّص"** (لو ٩: ٥١-٥٥).

وهو يقول لكل مؤمن: **"تعلَّم مني واعرف من أي روح أنت. كُن متسع القلب. تأنَّ على الجميع** (١تس ٥: ١٤)، **واحتمل أضعاف الضعفاء"** (رو١٥: ٧).

+ وفي مَثَل شجرة التين يُقدِّم الرب نفسه كرَّاماً شفيعاً بدمه أمام الآب من أجل كل نفس شاردة لا تُبالي وتُهدر أيامها دون ثمر، فيقول: **"اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع زبلاً"**، وأجعلها تفيق من غيِّها لتكون هذه فرصتها الأخيرة: **"فإن أعطت ثمراً"** (فأنعم بها وأكرم) **"وإلاَّ ففيما بعد تقطعها"** (لو ١٣: ٦-٩).

ويا خادم الله، كُن كسيِّدك. لا تفقد رجاءك في أحد مهما طال الزمان، حتى ولو بدا كأنه غصن جاف، لأن راعي نفوسنا وأسقفها (١بط ٢: ٢٥) **"الذي يُحيي مَن يشاء"** (يو٥: ١١)، مستعدٌّ أن "ينقب حولها" بطريقته، فربما استجابت في الساعة الأخيرة. كما أن أصحاب الثمر القليل لن يبقوا هكذا إن سألت من أجلهم وتعبت معهم، لأن "الكرمة الحقيقية" يقول إنه قادرٌ أن يُنقيهم ليأتوا **بثمر أكثر** (يو ١٤: ١،٢).

+ وكشف الرب يسوع في **مَثَل الابن الضال** عن **طول أناة الله أكثر من الناس**. فالأب في المثل لم يحجر على ابنه الأصغر الطائش ويُبقيه رغماً عنه في بيته، وإنما أعطاه نصيبه وتركه يمضي في سبيله. وبعد أن انتهى به الأمر إلى الحضيض، وضاقت به السُّبُل، فما أن ظهر في الأُفق عائداً ذليلاً جائعاً تائباً، حتى ركض إليه أبوه "**ووقع على عنقه وقبَّله**"، واحتفى به كأنه لم يَغب يوماً (لو ١٥: ١١-٢٥).

فلنقبل الخاطئ العائد دون إذلال أو تأنيب وبغير تصفية حسابات، فكلنا تحت الآلام. وسط البهجة بعودة الضال لا يليق أن تظهر نغمة الأخ الأكبر الذي انتقد هذه المبالغة في الفرح برجوع أخ منحرف "أكل معيشة أبيه مع الزواني". فكما يطرح الرب خطايانا ولا يعود يذكرها كأنها لم تكن، هكذا ينبغي أن نقبل العائدين بعد الغياب إلى دائرة الكنيسة بكل فرح وابتهاج، ونُمكِّن لهم المحبة (٢كو ٢: ٨)، وشعارنا: "**إذاً مَن يظن أنه قائمٌ، فلينظر أن لا يسقط**" (١كو ١٠: ١٢).

فكما غفر الله لنا، هكذا ينبغي أن نغفر (في ٤: ٣٢؛ كو ٣: ١٣)، ونشفق ونُطيل أناتنا على الآخرين، ليس كما فعل العبد الرديء الذي تحنَّن عليه سيده وأعفاه من الدَّيْن، ولكنه لم يشأ أن يتحمَّل عبداً رفيقاً له كان مديناً له فألقاه في السجن حتى يوفي الدين، وحقّ عندها لسيده أن يغضب عليه ويُعاقبه "حتى يُوفى كل ما كان عليه" (مت ١٨: ٢٣-٣٥). وطوبى للرحماء طويلي الأناة لأنهم أيضاً يتمتعون برحمة الله وطول أناته (مت ٥: ٧)، وبنفس القياس فإنَّ: "**الحُكْم هو بلا رحمة لمَن لم يعمل رحمة**" (يع ٢: ١٣).

صبر القديسين

نحن مدعوون أيضاً للاقتداء بمَن سبقونا وجـــازوا الآلام والاختبارات متسلِّحين بالصبر والأناة وخرجوا منتـــصرين: "بل في كل شيء نُظهر أنفسنا كخُدَّام الله، **في صبر كثير.. في شدائد.. في ضيقات..**" (**٢**كو ٦: ٤)؛ "متمثِّلين بالذين بالإيمان **والأناة** يرثون المواعيد" (عب ٦: ١٢).

و**القديس يعقوب** يحثُّنا أن نقتفى أثر الآباء المختـــبرين والمتقدِّمين بيننا، ونتعلَّم منهم كى نغلب نحن أيضاً: "**خذوا يا إخوتي مثالاً لاحتمال المشقَّات والأناة: الأنبياء الـــذين تكلَّموا باسم الرب. ها نحن نُطوِّب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب. لأن الرب كثير الرحمـــة ورؤوف**" (يع ٥: ١٠،١١). وبدوره فإنَّ مُعلِّمنا **القديس بولس** بعد أن جمع أمامنا كل أبطال الإيمان في مشهد جليل يلتفت إلينا بالقول: "إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هـــذه

مُحيطة بنا، لنطرح كل ثقْل والخطية المحيطة بنا بسهولة، **ولنُحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا..**" (عب ١٢: ١).

O O O

الصبر هو رفيق الإيمان والرجاء والمحبة، وقرين كل عمل واختبار أليم (خاصة أمام الموت) وكل تقوى وجهاد وخدمة. إنه ضرورة لا يُستَغنَى عنها، ونحن نجتاز حياة القداسة على الأرض.

والكتاب يُقرِّر حاجتنا إلى الصبر والصمود إلى المنتهى كى ننال الموعد: "**فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة، لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد**" (**عب ١٠: ٣٦**). كما يتعهَّد الرب بمساندة الصابرين وقت الآلام: "**لأنك حفظت كلمة صبري، أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله**" (**رؤ ٣: ١٠**). ويشهد الكتاب أنه: "**إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه**" (**٢تي ٢: ١٠**). وإذا كُنَّا قد صبرنا طويلاً فلم يبقَ إلاَّ القليل: "**فتأنَّوْا أيها الإخوة إلى مجيء الرب... وثبِّتوا قلوبكم، لأن مجيء الرب قد اقترب**" (**يع ٥: ٧،٨**).

والرب يهدي قلوبنا "...**إلى صبر المسيح**" (٢تس ٣: ٥).

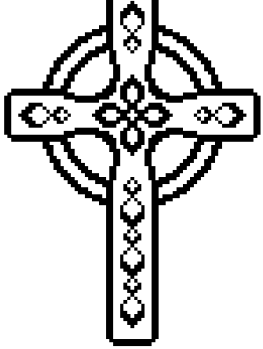

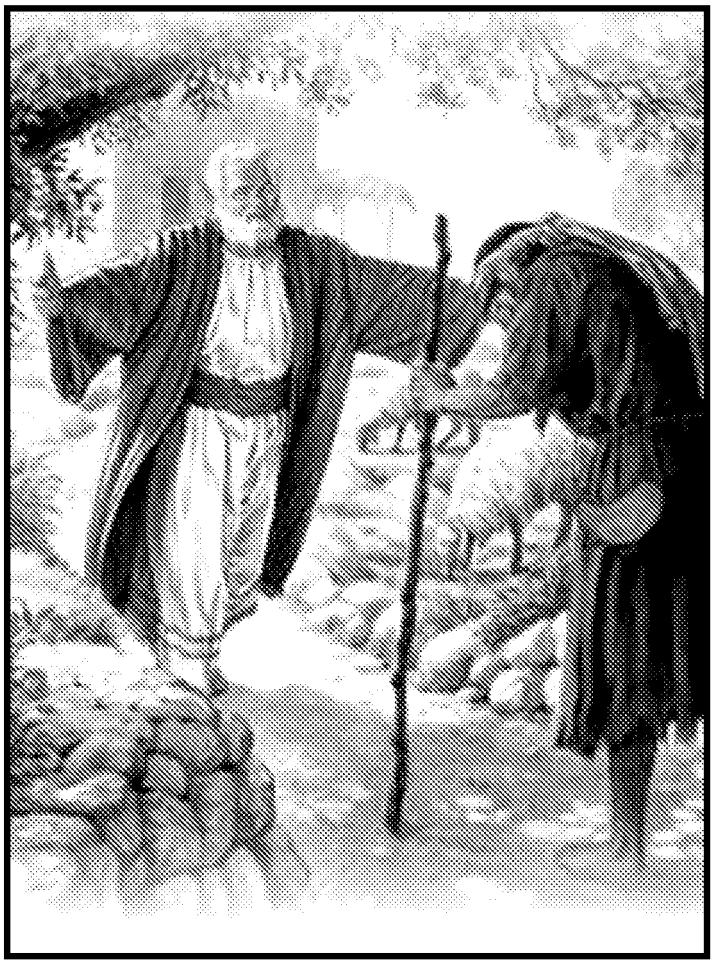

" **فقام و جاء إلى ابيه** " (لو ١٥: ٢٠)

التوبـــة

التوبـــة

التوبـــة[1] (بـــاليونـــانية metanoia, metania)، حرفياً، هى تغيير اتجاه الفكر بصورة شاملة وحاسمة إلى الناحية المضادة. وعلى الصعيد العملى هى الانتقال الصريح من حياة حسب الجسد، والإقرار بالخطأ، والتوجُّه كلِّيّاً إلى الله في حياة حسب الروح، مع التعهُّد بعدم النكوص بمؤازرة النعمة.

+ **والتوبة** قرين الإيمان، وهى قد تسبقه كمدخل لقبول الإيمان: "**جـــاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قـــد كَمَـــلَ الزمـــان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**" (مر ١: ١٤،١٥). وبالمثل فإنَّ أولى أعمال كل مُبشِّر بالإيمان أن يدعو إلى **التوبة**،كما كان يفعل المعلِّم، فهى الخطوة الأولى للحياة الجديدة (مت ٩: ١٣؛ مر ١٢: ٧؛ لو ٥: ٣٢).

---

(١) من مرادفات **التوبة** في الإنجيل: البَيْع (مت ١٩: ٢١؛ مر ١٠: ٢١)؛ **التَّرْك** (أي التخلِّى عـــن الماضى وأثقاله): (التلاميذ – مت ٤: ٢٠؛ لاوي – لو ٥: ٢٨؛ السامرية – يو ٤: ٢٨)؛ **خَلْـــع العتيق ولبْس الجديد** (لباس العُرس – مت ٢٢: ١١،١٢؛ الإنسان العتيق والإنسان الجديـــد – أف ٤: ٢٢-٢٤؛ كو ٣: ٩)؛ **إنكار الذات وحَمْل الصليب وإهلاك النفس** (مـــت ١٠: ٣٥؛ ١٦: ٢٥؛ مر ٨: ٣٥؛ لو ٩: ٢٣،٢٤؛ ١٤: ٢٧؛ يو ١٢: ٢٥).

وستكون **التوبة الأولى**، سواء قبل أو بعد قبول الإيمان، تياراً جارفاً يكتسح أمامه كل الخطايا الباطنة والظاهرة، وكل المثالب وجوانب الضعف والانحراف والفساد والشهوات التي تقلَّبت فيها النفس البعيدة عن الله. فهي أشبه بمَن كان قد سقط في الوحل ثم اغتسل فعاد نظيفاً، أو كان أعمى فعاد بصيراً.

+ وتظل **التوبة** عمل المؤمنين الدائب كل الحياة، وهدفها التغيير المستمر وتصحيح المسار كل يوم، والرجوع عن الخطأ (حز ١٤: ٦؛ ١٨: ٢٧-٣٢؛ أع ٣: ١٩؛ ٢٦: ٢٠)، والقيام بعد السقوط، والندم على الفعل الشائن (مت ٢١: ٣٢)، واقتلاع كل ما هو فساد وعوار (مت ٥: ٢٩،٣٠؛ ١٨: ٨،٩)، والعودة إلى الله بعد التغرُّب والضلال باعتراف منسحق (مت ٣: ٦؛ مر ١: ٥؛ ١يو ١: ٩) ومواصلة الحياة الجديدة.

+ **التوبة** لا تفارق الإيمان الحي النشط، وأعمال الإيمان توصف أنها **"أعمال تليق بالتوبة"**، أي تتفق مع الحياة الجديدة التي بدأت أو التي يُتطلَّع إليها (مت٣:٨). وكما أنَّ الإيمان هو عطية الله بالروح القدس (غل٥: ٢٢)، **فالتوبة هي أيضاً من أعمال النعمة**، وطوبى لمَن يقبل صوت الروح مُستجيباً بالتوبة: **"توبني فأتوب لأنك أنت إلهي"** (إر ٣١: ١٨).

+ **التوبة**، وإنْ كانت نتاجاً طبيعياً لحياة الإيمان، إلاَّ أنها أيضاً تؤثِّر فيه، فهي في استمرارها قوية حاسمة تُجدِّد الإيمان وتبثُّ فيه الحيوية وتؤجِّج فاعليته، وفي تراجُعها وفتورها تطعن الإيمان في الصميم وتقود إلى ذبوله وتزييفه ليبقى بناءً هيكلياً كاذباً يهتم فقط بالقشور وأعمال الجسد.

والرب يُنذر كل مَن يتناسون أمر التوبة من المؤمنين أنهم مُعرَّضون للهلاك: **"إنْ لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون"** (لو ١٣: ٣).

+ **والتوبة** ضرورية لحيوية العبادة؛ وتُساند كل جوانبها: من صلاة وصوم، وعطاء وخدمة، ولهج في كلمة الله وحفظها. فهى تُنقِّى القلب من الشوائب، وبالتالي يصير مُهيّأً مستعدّاً للقاء الله والتفرُّس فيه. كما أنها تُعدُّ المؤمن لاقتبال الفضائل الروحية التى تفيض بها النعمة.

كم هى جليلة هذه التوبة! فيكفى أنها تُحقِّق المصالحة مع الله "**الذي صالحنا** (أولاً) **لنفسه بيسوع المسيح**" (٢كو ٥: ١٨؛ كو ١: ٢٠) بعد الخصام، واستعادة دفء العلاقة، والتعافي من الخطية، والاغتسال من أدران الإثم ونوال التطهير، والتمتُّع بالغفران الذي فيه تُمحى الخطايا مهما تعاظمت (٢بط٢: ٩). فكأنَّ الخاطئ يعتمد ثانية ويُجدِّد بنوَّته لله.

وشكراً لله مُحب البشر، متَّسع القلب، طويل الأناة، الأمين العادل (١يو١: ٩)، الذي جعل باب التوبة مفتوحاً للعودة إلى الأحضان الأبوية، وهو الذي صنع خلاصنا بدم ابنه، فأنعم علينا بغفران الخطايا "**من أجل اسمه**" (١يو ٢: ١٢) "**إنْ اعترفنا بخطايانا**" (١يو ١: ٩). وقبل سبعة قرون من مجيئه قال: "**هل مسرة أُسرُّ بموت الشرير... إلاَّ برجوعه عن طُرُقه فيحيا**" (حز١٨: ٢٣). ومكتوب في سفر إشعياء: "**ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليَتُبْ إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يُكثر الغفران**" (إش ٥٥: ٦،٧).

سيظل الحديث عن **التوبة** موصولاً دائماً بغير أن يصيبنا الملل، أو أن يقال هذا يكفى، سمعنا عنها الكثير! فطالما أننا نخطىء فسنحتاج لمن يكلمنا عن التوبة، ويذكّرنا بالحق الذي لنا في الرجوع إلى الله ومصالحته مهما كان سوء الحال.

ويا لاتساع قلب الله، الذي لا يُسبر غوره، المستعد دوماً لقبول التائبين.

الاتضـــــاع

الاتضـاع

في الإيمان بالمسيح يُدرك الإنسان حجمه الحقيقى، عندما يكتشف أنَّ الله هو حياته وسر قوته ومصدر كل ما يملكه، فينهار كبرياؤه وتعاليه وتقديره الزائد لذاته وإحساسه بملكية الأشياء.

في الإيمان يتيقَّن الإنسان من ضعفه واحتياجه، وأنه لا يملك من أمره شيئاً، ووحده لا يَقْوَى على فعل شيء.

+ المؤمن الحقيقى يعرف أنَّ "**قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامُخ الروح**" (أم ١٦: ١٨)، وأنَّ كل قوته وصحته ومواهبه وإمكانياته هى نعَـمٌ مجانية من الله الغنى المُحب "**الـذي يُعطـى الجميـع بـسخاء ولا يُعيِّـر**" (يع١: ٥). ومن هنا فهو لا يجسر أن يتفاخر بها، لا يتعالى أو ينتفخ على غيره، ولا يحتقر مَن هم أقل، مُتمثِّلاً بسيِّده الذي كان به كل شيء : "**وبغيره لم يكن شيء مما كان**" (يو ١: ٣)؛ ومع هذا لَمَّا جاء لخلاصنا أَخَذَ صورة عبد (في ٢: ٧)، مُتجسِّداً من عذراء فقيرة. وساعة ميلاده لم يكن له "**موضع في المنزل**" (لو ٢: ٧)، فوُلد في مذود البهائم، وارتبط بالطبقات الدُّنيا في

المجتمع، وتخلَّى عن كل شيء، ولم يملك على الأرض شيئاً؛ بل لم يكن له حتى **"أين يسند رأسه"** (مت ٨: ١٠؛ لو ٩: ٥٨).

وهو حثَّنا قائلاً: **"تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم"** (مت ١١: ٢٩). كما دعا كل مَن يتبعه أن **"يُنكر نفسه، ويحمل صليبه كل يوم"** (مت ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ لو ٩: ٢٣)، وأن يكون **"آخر الكل"** (مر ٩: ٣٥)، وغايته **"الموضع الأخير"** (لو ١٤: ١٠)، مؤكِّداً أنَّ **"مَن يتضع يرتفع وأنَّ من يرتفع يتضع"** (لو ١٤: ١١؛ ١٨: ١٤).

والرب قبل صليبه انحنى، وهو المعلِّم والسيِّد، وغسل أقدام تلاميذه (يو ١٣: ٣-٥)، وطالبهم أن يكونوا مثله فإنه **"ليس عبدٌ أعظم من سيِّده، ولا رسول أعظم من مُرسله"** (يو ١٣: ١٦)؛ بل **"يكفي التلميذ أن يكون كمعلِّمه، والعبد كسيِّده"** (مت ١٠: ٢٤،٢٥).

وعلى نهج السيِّد سار تلاميذه ورسله وكل الذين قبلوه **"كفقراء ونحن نغني كثيرين. كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء"** (٢كو ٦: ١٠)، وهكذا ينبغي أن يكون كل مَن يؤمن به إلى آخر الأيام.

فالرب بالفعل هو المتضع الحقيقي، لأنه وهو كلِّي الرفعة والقدرة، أخلى نفسه من كل مجده ونزل إلى أرضنا، صائراً واحداً مثلنا، لكي يُخلِّصنا وينقلنا إلى مجده. الإنسان عندما يتضع هو فقط يقرُّ بحقيقته ولا يتنازل بذلك عن شيء.

+ **الاتضاع شهادة على صدق إيماننا**. وهو رفيق تلقائي للإيمان الحقيقي منذ اللحظة الأولى، وغيابه يُلقي بالظلال على أصالة إيمان صاحبه، فلا يجتمع الإيمان المسيحي مع متكبِّر متغطرس يرى نفسه أبرَّ وأفضل من غيره، ولا يعرف الخشوع الباطني وانحناء القلب أمام الله باعتباره أول الخطاة (١تي ١: ١٥). فالإيمان يستدعي الاتضاع، والاتضاع يستدعي سائر الفضائل وأُولاها المحبة. فالمحبة في أساسها خروج من الذات إلى الله والآخر، وهذا لن يتحقَّق بغير الاتضاع.

+ في **الاتضاع** تنحنى النفس قابلة الآلام لحساب المسيح، وتحتمل الاضطهاد من أجل الإيمان، وهـذا يستدر تحنُّن الله وعزاءه (٢كو ٧: ٦)، وبينما يُقاوم الله المستكبرين، **فإن المتواضعين يعطيهم نعمة** (يع ٤: ٦؛ ١بط ٥: ٥). وهكذا ننال النصرة على عدو الخير لأننا نتيح لله أن يغلبه فينا.

+ **والاتضاع** فوق هذا كله يُشكِّل قاعدة أساسية في كل ممارسات العبادة: صلاةً، وصوماً، وطاعةً للكلمة، وخدمةً لله والناس. وبغيره تتحوَّل إلى ممارسات شكلية آلية تنكَّبت طريقها إلى الله ولا تقصد غير إرضاء الذات والناس.

+ ومن ناحية أخرى، فإن قبول الإيمان في الأساس يحتاج إلى **الاتضاع**. فالمعتدُّ بفكره والمكتفى بنفسه يستحيل عليه أن يقبل الإيمان. كما أنَّ **الاتضاع** يحفظ الإيمان من الشطط الفكري والتعصُّب واستبعاد الآخر.

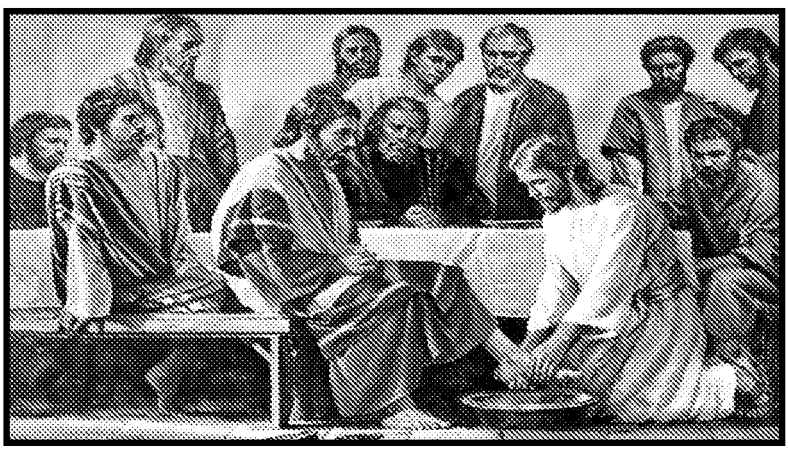

"ليس عبد أعظم من سيده" (يو ١٣: ١٦)

٦

عمل الرحمة

عمل الرحمة (+)

عند دخوله مجمع الناصرة للمرة الأولى مع بدء خدمته، قام الرب ليقرأ فدُفع إليه سفر إشعياء. ولمَّا فتح السِّفْر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه "**روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأُبشِّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأُنادي للمأسورين بالإطلاق وللعُمْي بالبصر، وأُرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة**" (إش ٦١: ١-٣؛ لو ٤: ١٨،١٩). ولما جلس قال لهم "**اليوم قد تَمَّ هذا المكتوب في مسامعكم**" (لو ٤: ٢١). فقد كانت هذه رسالته: الرحمة والتحنُّن على البشرية الكسيرة والمظلومة والمنبوذة والمضطهَدة والأسيرة والذليلة تحت وطأة الخطية والظلمة. ومكتوبٌ عنه أنه "**غنيٌّ في الرحمة**" (أف ٢: ٤)، وأنه "**أبو الرأفة وإله كل تعزية**" (٢كو١: ٣). وهو دعا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال أن يأتوا إليه كى يُريحهم (مت ١١: ٢٨).

(+) للفائدة، يرجى الرجوع إلى مقال "**الرحمة**" في **الكتاب الثامن** من **نور الحياة** للكاتب (٢٠١١) ص٢٠-٢٦.

ويُسجِّل الكتاب أن يسوع كان "**يطوف المدن كلها والقُرَى يُعلِّم في مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب. ولما رأى الجموع تحنَّن عليهم، إذ كانوا مُتزعجين ومُنطرحين كغنم لا راعي لها**" (مت ٩: ٣٥،٣٦).

+ وبينما كان يُعلِّم الجموع عن ملكوت السموات، لم يكن يغفل عن احتياجاتهم الجسدية. وفي إحدى المرات قال لتلاميذه "**إني أُشفق على الجمع، لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون** (وقد نفد ما كان معهم من طعام). **ولستُ أُريد أن أصرفهم صائمين لئلا يُخَوِّروا في الطريق (لأن قوماً منهم جاءوا من بعيد)**" (مت ١٥: ٣٢؛ مر ٨: ٢،٣). وبعدها صنع لهم معجزة تكثير الخبز والسمك، فأكل الآلاف وشبعوا.

+ وهو قدَّم نفسه **رفيقاً وصديقاً لكل مَن يُعانون الوحدة والاغتراب في هذا العالم**. وقد ظل مريض بركة بيت حسْدا ثمانية وثلاثين سنة ينتظر رفيقاً يُلقيه في البركة متى تحرَّك الماء كي يُشفَى، حتى جاءه المسيح ليشفيه؛ ولتظل كلماته "**ليس لي إنسان**" (يو ٥: ٧) تُدوِّي في الأسماع باسم ملايين المُجرَّبين الذين يطلبون مَن يمدُّ لهم يد العون والرحمة من أتباع المسيح.

+ وهو أدرك محنة أرملة نايين بفَقْد وحيدها بعد أن كانت قد فقدت زوجها، "**فلما رآها الرب تحنَّن عليها وقال لها: لا تبكي. ثم تقدَّم ولمس النعش، فوقف الحاملون. فقال: أيها الشاب، لك أقول قُمْ. فجلس الميت وابتدأ يتكلَّم، فدفعه إلى أُمه**" (لو ٧: ١٢-١٥).

+ وفي بدء عظته على الجبل **طوَّب المسيح الرحماء، لأنهم بما فعلوه سيُرحمون في اليوم الأخير** (مت ٥: ٧). وفي آخر أحاديثه قبل الصليب **تَمَّمن دور أعمال الرحمة في مجازاة مُحبيه عند مجيئه الثاني، وجعل الجياع والعطاش والغرباء والعرايا والمرضى والسجناء إخوته الصغار. وبالتالي فكل ما فعلناه من خدمة لواحدٍ منهم فكأنما فعلناه به هو** (مت ٢٥: ٣١-٤٠). **وبيَّن أنَّ**

الله لن يُضيع أجر مَن سقى أحد الصغار كأس ماء بارد (مت ١٠: ٤٢). وخلال خدمته حثَّ على **محبة القريب** أي الآخر أيّاً كان (ت ٦: ٥؛ لا ١٩: ١٨؛ مت ٢٢: ٣٧؛ مر ١٢: ٣١؛ لو ١٠: ٢٧)، وذكر مَثل **السامري الصالح** الذي صار بخدمته قريباً للذي صنع معه الرحمة رغم العداء التاريخى بين اليهود والسامريين، وقال للناموسى ولكل منَّا "**اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا**" (لو ١٠: ٣٧).

+ وقد جعل الرب **أعمال الرحمة** قريناً لحياة الإيمان، لأنها ممكنة للكل، ولأنها تعبير تلقائى عن المحبة المسيحية. وارتباطها بالإيمان يُجرِّدها من أن تكون فعلاً آلياً لخدمة الذات وليس لحساب الله؛ كما أن ارتباط الإيمان بها يحفظه من الاستعلاء وقساوة القلب وربما احتقار الآخر المختلف وإدانته.

+ وبالنسبة لنا فنحن لا نكفُّ عن طلب مراحم الله، فبدونها تصير الحياة عبئاً لا يُحتَمَل، ونداء "**كيريي إيليسون**" أي "**يا رب ارحم**" نهتف به عشرات أو مئات المرات خلال القدَّاس والصلوات الطقسية وأثناء اليوم؛ كما كان يفعل المتعبون أيام المسيح: "**يا يسوع يا معلِّم، ارحمنا**" (لو ١٧: ١٣)؛ وكما كان يصرخ البُرص العشرة، وكما نادَى الأعمى: "**يا يسوع يا ابن داود، ارحمني**" (لو ١٨: ٣٨)، يطلبون الشفاء من الطبيب الشافي.

+ وطلب الرب من كل مَن يؤمنون به أن يفعلوا مثله: "**كونوا رحماء كما أنَّ أباكم أيضاً رحيم**"، و"**أعطوا تُعْطَوْا، كيلاً جيِّداً مُلبَّداً مهزوزاً فائضاً يُعْطُون في أحضانكم. لأنه بنفسه الكَيْل الذي به تَكيلون يُكَالُ لكم**" (لو ٦: ٣٦،٣٨).

+ وهو أوصى تلاميذه ورُسله أن يفعلوا مثله ويجولوا بين الناس يصنعون خيراً (أع ١٠: ٣٨) قائلاً: "**اشفوا مرضى. طَهِّروا بُرْصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا**" (مت ١٠: ٨؛ لو ٩: ١٠).

ومنذ أيام الكنيسة الأولى كان الاهتمام بالطبقات الضعيفة في الشعب، فكانوا يبيعون الأملاك والمقتنيات **"ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج"** (أع ٢: ٤٥)، **"ولم يكن أحدٌ يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً.. إذ لم يكن فيهم أحدٌ محتاجاً"** (أع ٤: ٣٢،٣٤). وكانت خدمة الفقراء يومية حتى أنهم انتخبوا شمامسة سبعة لهذه الخدمة (أع ٦: ١-٦).

+ ولم تخلُ معظم رسائل **القديس بولس** من حثّه على السخاء في الجمع **للقدِّيسين** (هكذا كان يُسمِّي الفقراء والمحتاجين)، خاصة فقراء المدينة المقدسة أُورشليم (رو ١٥: ٢٥-٢٧؛ ١كو ١٦: ١-٣،١٥؛ ٢كو ٨: ١-١٥؛ ٩: ١-١٥؛ غل ٢: ١٠؛ في ٤: ١٥-١٩؛ ١تي ٦: ١٨،١٩)، مُشيراً إلى أنَّ **"مَن يزرع بالشُّحِّ فبالشُّحِّ أيضاً يحصد، ومَن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد. كل واحد كما ينوي بقلبه، ليس عن حزن أو اضطرار** (كما فعل حنانيا وسفيرة - أع ٥: ١-١٠) **"لأن المُعطي المسرور يُحبُّه الله"** (٢كو٩:٦، ٧).

ومعلِّمنا يعقوب أكد أن **"الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم"** (يع١:٢٧). وهو أدان الاستهانة بفقراء الكنيسة والتمييز في المعاملة بينهم وبين الأغنياء، ولام المخطئين من قادة الكنيسة وخُدَّامها (يع ٢: ١١-١٣).

ومعلمنا يوحنا في قوله **"يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق"** (١يو ٣:١٨) يؤكد على أن المحبة المسيحية لابد أن تكون فعالة وحقيقية ومكلفة، أما مجرد الوعود الكاذبة والعواطف المرائية والكلمات الجوفاء فهي إهانة للمحبة ولا علاقة لها بهذا الاسم النبيل **"وأما من كانت له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه"** (١يو٣:١٧).

+ عمل الرحمة وتعب المحبة وتقديم العشور والعطاء السخى، ليس انفاقاً بل هو في حقيقته نو ع من الادخار الذي يوافق مشيئة الله، وهو الذي حثنا أن نكتنز لأنفسنا في السماء حيث لا يعتري كنزنا الفساد أو يتعرض للنهب والضيا ع. وكل ما نعمله رحمة بإخوة المسيح الأصاغر، إخوتنا، يضاف إلى رصيدنا السماوي الذي سيأتي ذكره في اليوم الأخير.

+ ويندرج تحت **فعل الرحمة** الاشفاق على المخطىء، والتحفظ من النقد الشديد الجارح والقاسى، والسعى لانتشاله من سقطته، والتعفف عن التشفى في المهزوم ومساعدته على استعادة توازنه والنجاة من صغر النفس.

+ **فعْل الرحمة والرفق والشفقة** هو، إذاً، شهادة على صدْق إيماننا وبه نتشبه بإلهنا الرحوم صانع الخيرات. وأما قساوة قلبنا وإهمالنا أَمْر المحتاج والضعيف والعاجز والمحروم من حولنا، فهو إنكارٌ للإيمان، وانسحابٌ من شركة المسيح الذي جعل من نفسه أخاً لهؤلاء.

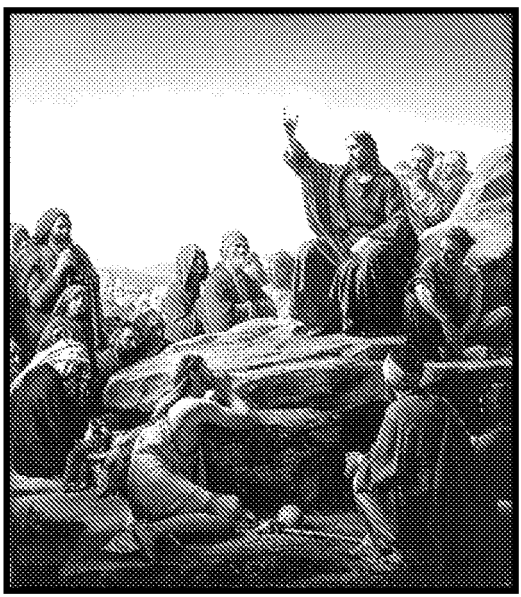

"طوبى للرحماء لأنهم يرحمون" (مت ٥:٧)

الشبع والاكتفاء

الشبع والاكتفاء

بالإيمان تنسحب الذات ليملأ الله الكيان، ويصير الله أقرب إلى النفس من صاحبها، راعياً لها ومسئولاً عنها ومُدبِّراً لكل أمور صاحبها، منتزعاً منها بالتالي الخوف والقلق والهم مما وعما يأتي به الغد، فقد انتقلت ثقة المؤمن من الذات والناس إلى الله بعد أن صار تحت حمايته ورعايته. والرب ذكَّرنا أنه هو الذي يعتني بزنابق الحقل التي لا تتعب ولا تغزل، وهو يقيت طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، فكم بالحري يعتني بالإنسان (خاصة المؤمن الذي سلَّمه حياته) الذي هو عنده "**أفضل من هذه كلها**"، مُشدِّداً على كل مؤمنيه أن لا يهتموا بحاجات الجسد ولا أن يسألوا من أجلها فهى معروفة عند الآب السماوي؛ ولا أن تشغلهم هموم الغد، فهو (أي الغد) سيأتي ومعه عناية الله بخليقته، ولكن أن يطلبوا "**أولاً ملكوت الله وبره**"، وكل حاجاتهم ستكون مكفولة وفائضة (مت ٦: ٣١-٣٤).

وهو وَعَدَ أنَّ "**مَن له سيُعطى ويُزاد (فيزداد)**" (مت ١٣: ١٢؛ ٢٥: ٢٩؛ مر ٤: ٢٥). هذا لا يعني أن يركن الإنسان إلى الكسل والإهمال والتواكُل

السلبي، وإنما يُعبِّر عن أمانته لله والتزامه بمسئوليته أمام الله وتجاه نفسه وتجاه الآخرين وبَذْل جهده وجهاده قَدْر ما يستطيع.

من الطبيعي، إذاً، أنه مع الإيمان ينعم المؤمن بالشبع والارتواء، بالاكتفاء وعدم الاحتياج، بالطمأنينة والسلام من جهة المستقبل، فحضور المسيح يكفل هذه جميعاً.

والرب قدَّم نفسه **كخبز الحياة** الذي **كل مَن يُقبل إليه فلا يجوع ومَن يؤمن به فلا يعطش أبداً** (يو ٦: ٣٥). كما أنَّ **مَن يشرب من الماء (الحي) الذي يُعطيه** (أي **الروح القدس** الذي نناله بواسطة المسيح بكل نعَمه وثماره) **فلن يعطش إلى الأبد "بل إنَّ الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"** (يو ٤: ١٤). وقال أيضاً: "**إنْ عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب. مَن آمن بي.. تجري من بطنه أنهار ماء حي**" (يو ٧: ٣٧،٣٨).

+ شركة الروح القدس تُعوِّض الإنسان عن كل نقائصه، فلا يشعر بحاجته إلى شيء وإنما إلى الله وحده. وكان **القديس بولس** يُعاني من شوكة في الجسد قال إنها أُعطيَت له لكي لا يرتفع بفرط ما أُتيح له من إعلانات، ولكنه لما زادت آلامه تضرَّع إلى الله ثلاث مرات أن تُفارقه شوكته، وكان صوت الله له: "**تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكْمَل**" (٢كو ١٢: ٩). فالمهم أن يظل المؤمن متمتعاً بنعمة الله حتى مع بقاء التجربة. فحضور الله هو الذي يصنع الفارق. وعندما تحل التجربة فليس التوجُّه الصحيح هو أن نطلب رفعها، وإنما أن نطلب حضور الله فيها، فهذا يُجرِّدها من كل أشواكها بل ويُحوِّلها لتكون للخير. ولأن **القديس بولس** أدرك سر القوة والغلبة عندما يقع الإنسان تحت وطأة الآلام قال: "**فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي، لكي تحلَّ عليَّ قوة المسيح. لذلك أُسَرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قويٌّ** (بقوة المسيح فيَّ)" (كو ١٢: ٧-١٠).

+ وعلى نهج السيِّد كان **القديس بولس** في كرازته يوصي المؤمنين ألاَّ يهتموا، وأن يختبروا الاكتفاء والشبع في الرب "**الذي يُعطي الجميع بسخاء ولا يُعَيِّر**" (يع ١: ٥)، فيكتب مُوصياً: "**لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتُعلم طلباتكم لدى الله**" (في ٤: ٦)، "**والله قادر أن يزيدكم كل نعمة، لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء، تزدادون في كل عمل صالح**" (٢كو ٩: ٧).

+ وتماشياً مع وصية الرب بأن يضع المؤمن كل ثقته في الله واتكاله الكامل عليه، حذّر **الرسول بولس** من الاعتماد على المال واكتنازه كوسيلة لتأمين الحياة ضد غوائل الزمن. فهو، فضلاً عن تعرضه مع سائر الممتلكات للنقص والنهب والحريق والفساد، لن يضمن الصحة الجسدية أو العقلية أو النجاح أو السعادة أو الحياة ذاتها التي يتهددها الموت كل ساعة، بل أنه اعتبر المال إلهاً مضاداً. فالذين يتكلون على المال هم بالضرورة مرتدون عن تبعية الله الذي قال: "**لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**" (مت ٦:٢٤). ولابد لعابدي المال إن أرادوا تبعية الرب من أن يبيعوا كل مالهم، أي أن يتحرروا أولاً من قيود المال والانشغال به كي يمكنهم التمتع بشركة الله وغناه الحقيقي.

+ وهو كان يؤكد أن كفايته في خدمته ليست منه هو وإنما من الله "**ليس أننا كفاة** sufficient **من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا بل كفايتنا** sufficiency (اكتفاؤنا) **من الله الذي جعلنا كفاة** (كافين) **لأن نكون خدام عهد جديد**" (٢كو ٣:٥، ٦). ولأن المسيح يكفيه ويوفي حاجته فهو قد استغنى به عن كل شيء وكل أحد "**المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح**" (في ٣:٨).

+ وكسيِّده (الذي لم يحمل كيساً ولا مزوداً- كما أوصى تلاميذه) لم يشعر **بولس الرسول** يوماً أنه محتاج. وحتى عندما يطلب من الكنيسة الإسهام في احتياجات الخدمة والفقراء كان يتحفظ فيقول: "**ليس أني أقول من جهة**

احتياج، فإني قد تعلَّمتُ أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف أن أتضع (أن أعيش بالقليل) **وأعرف أيضاً أن أستفضل** (أن يفيض عندي) **.. قد تدرَّبتُ أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقُص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقويني"** (في ٤: ١١-١٣).

+ ولكنه يقول لنا إنَّ سيِّده في أيام جسده **"من أجلكم افتقر وهو غنيٌّ، لكي تستغنوا أنتم بفقره"** (٢كو ٨: ٩)، ويقول عن نفسه ومَن معه: **"كفقراء ونحن نُغْني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء"** (٢كو ٦: ١٠).

وكتب في هذا السياق أيضاً حاثّاً على عدم السعى للغنَى وعدم جدواه: **"أما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضحٌ أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فإن كان لنا قوتٌ وكسوةٌ، فلنكْتَف بهما"** (١تي ٦: ٦،٧)؛ **"كونوا مكتفين بما عندكم، لأنه قال: "لا أُهملك ولا أتركك"، حتى إننا نقول واثقين: "الربُّ مُعينٌ لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي إنسانٌ؟"** (عب ١٣: ٥،٦).

+ غنى العالم يشبه الماء، يروي عطشنا إلى حين، ولكننا سنعطش من جديد. وهذا ما قاله الرب للسامرية **"كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً"**، أما الامتلاء من الروح فهذا هو الارتواء الكامل **"لكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد"**. وسر الارتواء الدائم أن **"الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"** (يو٤:١٣، ١٤). فالروح المستقر في قلب المؤمن الحقيقى هو مصدر هذا العطاء المتدفق الدائم الذي لا يتوقف ولا مجال هناك للعطش.

+ الغَنى الحقيقى هو الذي استغنى عن كل شيء، ولا يحس أنه محتاج لأي شيء، أي المكتفى بما عنده، ولا يطمع في أكثر، وهو قادر أن يُعطى بسخاء ويُسْر، والعطاء عنده مغبوطٌ أكثر من الأَخْذ (أع ٢٠: ٣٥). والكتاب يوصى الأغنياء أنْ **"لا يلقوا رجاءهم على غير يقينية** (هباء، عدم جدوى، عدم وثوق)

الغنَى.. وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة.. أسخياء في العطاء، كُرماء في التوزيع، مُدَّخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل، لكى يُمسكوا بالحياة الأبدية" (**١**تي ٦: ١٧-١٩)(+).

+ الغَنى الذي لا يشبع من الاقتناء ويظل متطلِّعاً لأكثر، ومهما أخذ فهو لا يشعر بالاكتفاء، هو فقير لأنه يعيش حياته كلها يُعاني الحاجة. والكتاب يُشير إلى الشراهة إلى المال وطمع النفس التى لا تعرف الشبع على أنه **"عبادة الأوثان"** (كو ٣: ٥). فالمال والممتلكات، والتى يمكن أن تحترق وتُسرق وتفسد وتصير رماداً، تصبح هى الإله المعبود، أي تصير المادة الجامدة الميتة في مرتبة أعلى من الإنسان الذي يصنعها ويكتسبها، ويصبح هو عبداً ذليلاً لها.

(+) مقابل من لا يكفّون عن جمع المال واكتنازه بغير شبع وينفقونه على ملذاتهم وشهواتهم، يوجد في عالمنا أيضاً أغنياء استطاعوا أن يتحرروا من سطوة المال عليهم وتجاسروا عليه، وبكل شجاعة انفقوه في عمل الخير، وغيروا حياة الفقراء إخوتهم إلى الأفضل، أو أسهموا في مشروعات كبرى لتشغيل العاطلين فأنقذوهم من التردي في مهاوي الجريمة والتشرد، أو أقاموا مؤسسات علمية وجامعات كبرى، أو موّلوا بحوثاً لمكافحة الأمراض التي يروح ضحيتها الملايين. وهذه بعض النماذج:

(١) فمؤسسة **بيل وميلندا جيتس** (٥٥ بليون دولار = ومعهما **وارين بافيت** = ٣٧ بليون دولار) خصصت بلايينها لمحاربة الفقراء والأمراض (كالملاريا والإيدز) في العالم. ومؤخراً طالب بافيت الحكومة بزيادة الضرائب على الأغنياء!

(٢) في ٢٠١٠ تبرع البريطاني **ألبرت جوبى** بما يساوي ٩٠٠ مليون دولار واستبقى ١٠ ملايين فقط للعائلة.

(٣) في ٢٠١١ تبرع الأمريكي **ريموند ببرلمان** بـ ٢٢٥ مليون دولار لأقدم مدرسة طبية (مدرسة الطب – جامعة بنسلفانيا) بهدف زيادة عدد خريجيها من ١٧٥ إلى ٥٠٠ طبيب سنوياً لعلاج الأعداد المتزايدة المتوقع أن تمتد إليها مظلة التأمين (٣٢ مليوناً) وضمان المحافظة على مستوًى راق من الرعاية الطبية. وهو صرّح أنه يبذل الآن جهده في إنفاق الأموال الكثيرة التي جمعها (٦٠٠ مليوًن) متعهداً أن يتم ذلك قبل أن يموت.

(٤) واحد لم يذكر اسمه تبرع بـ ١٣٠ مليون دولار لضحايا إعصار بنجلاديش في ٢٠٠٨/١/٣٠.

(٥) صاحب شركة سياحية (**هال توسيج** – ٨٣ سنة) يتبرع بكل ربحها السنوي (٥ مليون دولار) للفقراء. وهو لا يأخذ مرتبه مكتفياً بالضمان الاجتماعي. ويقول "**حياتي أغنى من حياة أغنى الناس. فقد تحررت تماماً من الارتباط بالمال**".

(٦) لمساعدة الصومال الذي يعاني من المجاعة حالياً قدم اللاعب الشهير **رونالدو** (٢٠١١/٨/١٦) مبادرة لجمع ٣٠ مليون دولار مبتدئاً بنفسه.

+ من هنا نهى الرب عن اكتناز المال: "**لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض**" (مت ٦: ٦)، وبيَّن استحالة خدمة الله والمال معاً: "**لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**" (مت ٦: ٢٤). كما حذَّر الكتاب من محبة المال مصدر كل الشرور والشهوات بل والجرائم: "**لتكن سيرتكم خالية من محبة المال**" (عب ١٣: ٥)، "**وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومُضرَّة، تُغرِّق الناس في العَطَب**) الفساد (**والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذ ابتغاه قومٌ ضلُّوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة**" (١تي ٦: ٩، ١٠). وأمامنا مثل **أخآب** الذي كان ملكاً يحكم ويملك كل إسرائيل. وكان يعيش في قصر كبير، و لكنه مع كل هذا لم يكن مكتفياً، وطمع في كرم نابوت اليزراعيلى المجاور له وأراد ضمّه إلى أرضه، على أن يعوضّه عنه كرماً بديلاً أو مالاً. ولما أبى نابوت أن يعطيه ميراث آبائه، دبّرت **إيزابل** امرأة أخآب مكيدة لنابوت فقُتل رجماً. وبعدها قالت إيزابل منتشية لأخآب "قم رث كرم نابوت!". ولكن جاءه صوت الله على لسان إيليا "**هل قتلت وورثت أيضاً؟ في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً**" (١مل ٢١: ١-١٩). وهو ما حدث. وهكذا كان في الطمع هلاكه ففقد كل شيء.

❋ ❋ ❋

ولكن **رفاق الإيمان** كثيرون، وهذا هو غنَى الإيمان في المسيح.

فمع الإيمان الحي يأتي رفاقه الذين يملأون حياتنا رجاءً ومحبةً وفرحاً وسلاماً في الضيق والآلام وصبراً وتوبةً واتضاعاً وتراحُماً وشبعاً واكتفاءً، ورفاقاً أُخر غير هؤلاء.

ونحن نسأل الله أن نعرفهم ونختبرهم، وبقدر غيرتنا وتوقنا واتساع قلبنا بقدر ما ننال.

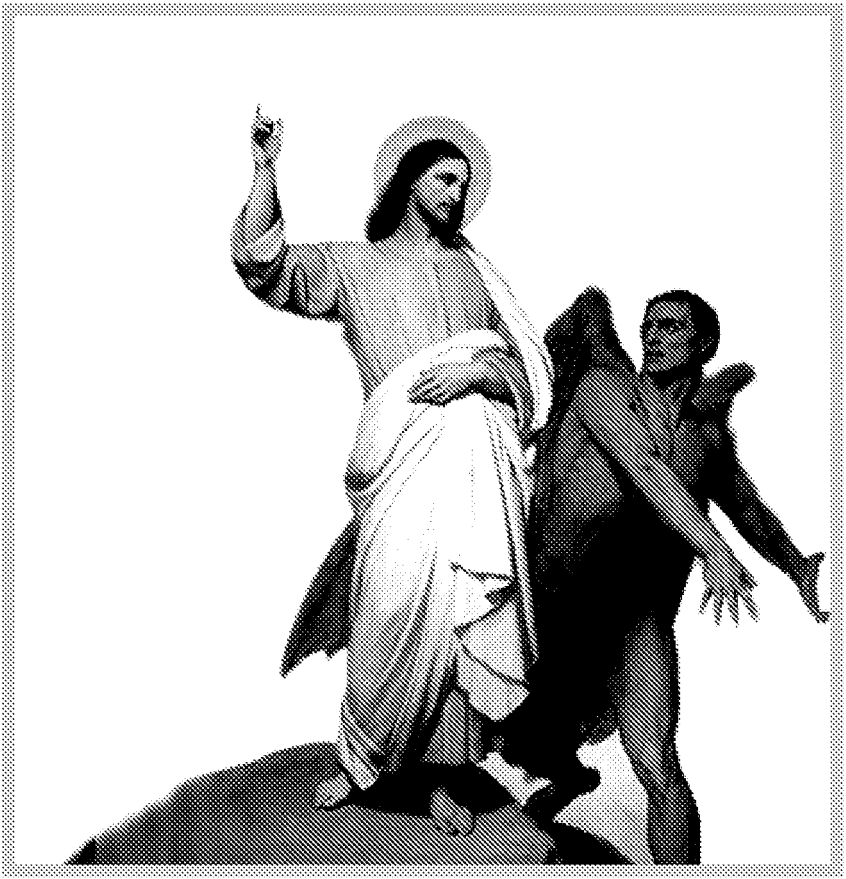

المسيح يجرَّب من إبليس

خصـــوم الإيمـــان

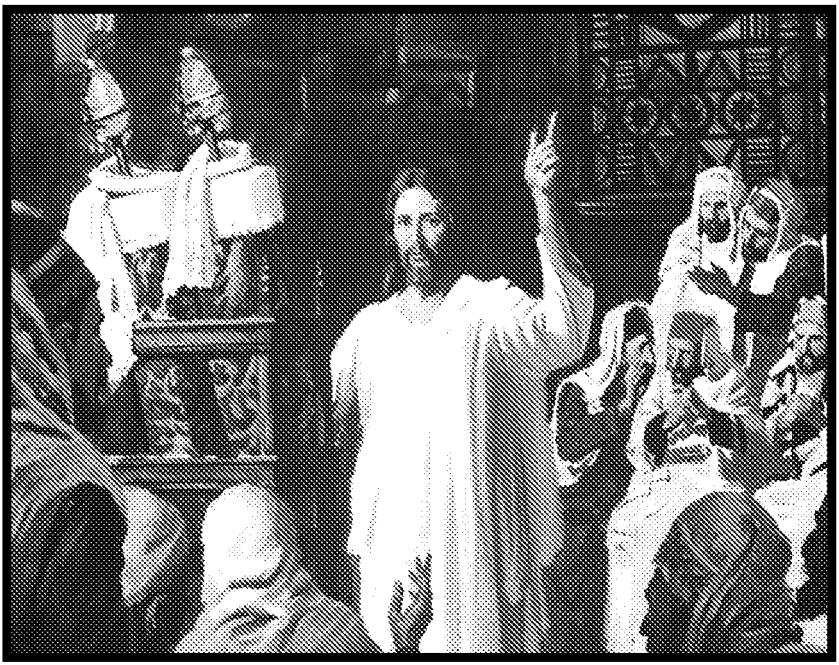

"تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء" (لو ١٢: ١)

كما رأينا أن للإيمان **رفاقه** الذين يجتذبهم فيلتفّون حوله ويلتصقون به ويحالفونه ويشهدون لصدقه وأصالته، فللإيمان أيضاً **خصومه** الذين يترصّدونه ويشوّهونه ويقاومونه. ولا نقصد هنا **خصوم الإيمان التقليديين** أصحاب العداء الصريح، المناوئين للمخلص، والمعوّقين للكرازة، والمضطهِدين للمؤمنين؛

فإبليس هو **عدو** كل خير وهو **الخصم** المحرك للحروب ضد إيمان المؤمنين (١بط ٥:٨) وهو "**المشتكي** على أخوتنا الذين كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً" (رؤ ١٢:١٠)؛

وهو الذي يستثير **الاضطهاد** والعداء بكل ألوانه : قتلاً وتعذيباً وتشهيراً وإهانةً وتمييزاً في الحقوق والمعاملات، وكل من يشهرون سيف الاضطهاد والتمييز في وجه المؤمنين هم أعوان إبليس وأدواته؛

وهو **رئيس هذا العالم** الذي يستخدم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة (١يو٢:١٦)، ومحبة المال (١تي ٦:١٠) كآلهة مضادة للإله الواحد

ضابط الكل، وهو الذي يزيّن الخطية، ويحرك المشاعر الجسدية غضباً وحسداً وكذباً وخصاماً وفساداً وغيرة مُرة وتعالياً واشتهاءً حتى يعمى القلب ويغيب العقل، ويصير الإنسان عدواً للبر والحق.

هؤلاء خصوم **ظاهرون** يسهل تبيّنهم وفرزهم، والمؤمن متحفز لمقاومتهم وغلبتهم بالإيمان.

ولكننا نقصد هنا **خصوم الإيمان المتخفّين** الذين يتسللون من الداخل، كمن يلبسون ثياب الحملان فلا تتبين الذئاب تحت جلودهم. ومن هؤلاء نطلب الحذر والانتباه وتفتيش الفكر والقلب والنوازع والكلمات.

فهم لا يواجِهون ولكنهم قادرون على تزييف الحياة كلها، هم فقط يُبقون على قشرتها الخارجية، ويفرغون الداخل من روحه، فتتحول الحياة إلى هيكل ورقيّ يمكن لهبّة ريح قوية أن تسقطه وتحطمه.

وقد اخترنا من بين هؤلاء الخصوم مَن هم الألّد والأخطر والأكثر انتشاراً، والذين نبهنا الرب من قبل إلى التحفظ منهم وعدم السماح لهم بدخول القلب، وفي المقدمة: **الرياء، الذات وتداعياتها: الهم والقلق والشك والخوف الرديء، وحزن العالم، وغلاظة القلب وقساوته**؛ وهدفنا أن نشهرهم ولا نسمح لهم باقتحام حياتنا، وكيف نكتشفهم إن كانوا قد تسللوا إلينا في غفلة منا، وقت أن أصابنا الفتور أو الطيش، وكيف نتجرد منهم ونستعيد حياتنا نقية ساهرة متأهبة، ونبقيها أمينة لمخلصها الذي اشتراها بدمه.

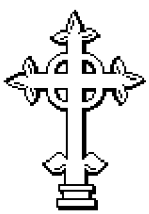

الريـــــاء

+ كلمة الله تدين وتحذّر
+ الرياء آفة العبادة والسلوك
+ الكتبة والفريسيون نموذج الرياء أيام المسيح
+ إدانة الرياء في خدمة الرسل وتعليمهم
+ رياء المجتمع
+ بين المجاملة والرياء
+ خطورة الرياء
+ كيف ننجو من الرياء

كلمة الله تدين وتحذّر

لا يعدم إبليس وسيلة كي يجرّد الإيمان من صدقه واستقامته، ومن ثم يُفقده فاعليته ويحوّله إلى كيان زائف أجوف كتمثال بلا روح، وذلك بأن يخدع الشخص أن يَبقى على إيمانه، وإنما فقط من ناحية الشكل والممارسات الآلية، واتخاذ مظهر المتدينين واستخدام تعبيراتهم، والعبادة بالشفاه، والوجود في الكنيسة بجسده دون فكره وقلبه، والحياة في العالم كأهل العالم، ملتصقاً بالأرض ومجدها، ومنسحباً من كل ما يتعلق بما فوق.

هذا هو **الرياء**، أي أن يُظهر الإنسان غير ما يُبطن ويّدعى ما ليس فيه. وفي مجال العبادة يتظاهر بالتقوى والبر لإسكات صوت الضمير وإرضاء الناس، ومواصلة حياة الخطية، ربما دون أن يعي، متستّراً بقشرة كاذبة لخداع الذات والآخرين، متغافلاً عن عيني الله اللتين تخترقان أستار الظلام، وسائراً بخطًى ثابتة كأعمى يندفع نحو حتفه دون أن يدري.

بالرياء يعفي الإنسان نفسه من إتباع الإيمان الحقيقي ونفقاته الباهظة التي يتحملها المؤمن الحقيقي عن طيب خاطر، فلا حملَ للصليب، ولا حفظَ

للوصية، ولا التزام بالتوبة، ولا قبول للآلام، ولا تخلٍّ عن شهوة الجسد والعالم، فهو مسيحي بالاسم دون سمات الرب يسوع.

الرياء هو بالفعل أخطر خصوم الإيمان وهو في هذا يشبه الجراثيم التي تتنكر في تركيبها الجيني كي تخفي حقيقتها فيقبلها الجسد ولا يلفظها أو يقاومها، وهكذا يستقر ويفسد الحياة كلها، حتى تكشف النعمة أمره وتدرك النفس ضلالها، وبالتوبة تعود إلى استقامة الإيمان المبرّأ من الانحراف والزيف.

والرياء داء قديم، والشعب الذي رعاه الله كل السنين انحرف عن استقامة العبادة واكتفى بظاهرها وشكلها، وغَلَبتْه محبة العالم، حتى أن إشعياء تنبأ عنه قائلاً "**يقترب إليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً**" (إش ٢٩:١٣، مت ١٥:٨، مر ٧:٦). وأعلن الرب مقته للرياء حيث قال للشعب الذي كان لا يتوانى عن إقامة الشعائر الدينية في الوقت الذي كان يرتكب كل أنواع الشرور "**لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بَغَضتْها نفسي.. اغتسلوا تنقّوا.. كُفّوا عن فعل الشر**" (إش ١:١٣، ١٤، ١٦).

وخدمة الرب أيام جسده اصطدمت بزيف حياة الكتبة والفريسيين والصدوقيين ورياءهم، وحذّر الرب تلاميذه منه قائلاً "**تحرّزوا من خمير الفريسيين (والصدوقيين وخمير هيرودس) الذي هو الرياء**" (مت ١٦:١٦، مر ٨:١٥، لو ١٢:١). وهو قَرَن الرياء بالخمير، لأن الخمير رمز الشر والخبث (١كو ٥:٨)، ولأنه كالخمير يتغلغل في كل أنحاء النفس وأعمالها الجسدية والروحية، ويغيّر طبيعتها كما يغيّر الخمير طبيعة العجين، بل ويمتد ليفسد المجتمع كله "**خميرة صغيرة تخمّر العجين كله**" (١كو ٥، ٦، غل ٥:٩). والرب حذّر من الرياء لخطورته ولأن من يتعود عليه يعيش في وهم أنه يُرضي الله، وهكذا تتسرّب من بين يديه فرص التوبة، أي يُحرم من غفران خطاياه وتعديل مساره وانقاذ خلاصه من الضياع.

الرياء آفة العبادة والسلوك

+ في وصاياه عن العبادة أكد الرب على وجوب تجريدها من الرياء والتظاهر **"فمتى صنعت صدقة فلا تصوّت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون لكي يمجَّدوا من الناس.. ومتى صليت فلا تكن كالمرائين.. ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين.. إنهم قد استوفوا أجرهم"** (مت ٦:٢، ٥، ١٦). فالرياء يجهض العبادة ويستوفي الأجر من مديح الناس وليس من الجزاء الإلهي.

+ وفي نهيه عن الإدانة نبّه الرب إلى أن الانشغال بخطايا الآخرين يجعلنا نغفل عن عيوبنا، وأن من يرتقي زوراً منصّة القاضي ويدين غيره، هو في واقع الأمر مرائي، لأنه يحسب نفسه باراً على غير الحقيقة، والرب ينصحه **"يا مرائي اخرج أولاً الخشبة من عينك"** (مت ٧:٥، لو ٦:٤٢).

+ والرب أكّد على عدم جدوى الحياة المزدوجة وانقسام القلب بين إرضاء العالم والذات وإرضاء الله **"لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال"** (مت ٦:٢٤). الله يرفض خدمة السيدين، من ناحية لأنها غير

ممكنة، ومن ناحية لأن الله هو السيد الوحيد الذي نتعامل من خلاله مع كل جوانب الحياة.

+ وفي أحاديث المسيح مثلان عن الرياء وزيف العبادة :

(١) ففي **مثل الفريسي والعشار** يلقي الرب الضوء على ازدواجية بعض المتدينين في شعورهم ببرهم وتفاخرهم بتتميم الفرائض، وفي نفس الوقت تعاليهم على غيرهم وإدانتهم. فالفريسي وقف "يصلي في نفسه"، أي أنه وهو واقف قدام الله لم يكن مستغرقاً فيه، وإنما كانت عينه على نفسه رضىً وإعجاباً، متحدثاً عن أفضليتها عن غيرها من "الناس الخاطفين الظالمين الزناة". وهو استطاع أن ينتبه إلى العشار الواقف بعيداً وأشار إليه كنموذج لهؤلاء الآخرين "ولست.. مثل هذا العشار". فهو أمام الله يصلي(!) ولكنه يغتصب حق الله ويدين العشار، ثم يستعرض فضائله قدام الله كأنما يداينه "أصوم مرتين في الأسبوع وأعشّر كل ما أقتنيه"، ويكاد يضيف "وماذا تريد أكثر؟". بالمقابل كان العشار منكسراً تثقل الخطية قلبه، فانزوى في أحد الأركان البعيدة منكّس الرأس **"لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء"**، ومنسكباً نادماً **"قرع صدره قائلاً اللهم ارحمني أنا الخاطيء"**. في الختام كان حكم الرب في صف العشار الخاطيء التائب وضد الفريسي البار في عيني نفسه **"إن هذا** (العشار) **نزل إلى بيته مبرراً دون ذاك** (الفريسي)" (لو ١٨:٩-١٤).

فالمكتفي عن الله ببرّه، كأنه من ذاته وليس بنعمة الله، قد استوفى أجره ولم ينل شيئاً رغم صلاته وصومه وعشوره، أما الخاطيء الذي جاء خاوي الوفاض واعترف بسقوطه واحتياجه لله، ووقف أمامه متوسلاً تائباً، هو الذي جاء الرب من أجله **" لم آت لأدعو أبراراً** (في عين أنفسهم)، **بل خطاة، إلى التوبة"** (مت ٩:١٣، مر ٢:١٧، لو ٥:٣٢) وهو الذي نال الغفران، وهو الذي فاز في هذه المباراة رغم أن المقدمات لم تكن تشي بهذه النتيجة.

(٢) وفي **مثل الابنين**، كشف الرب عن موقف المدّعين الشكليين من الله وكيف يفقدون الخلاص، ويقابلهم مع من قد يرفضون الله في البداية ولكنهم يرجعون إليه فيما بعد فيخلصون، في مقارنة بين رؤساء اليهود من ناحية والأمم وأكبر الخطاة من ناحية أخرى. فيقول "**كان لإنسان ابنان فجاء إلى الأول** (ويمثل الأمم، والخطاة الذين يتوبون) **وقال يا ابني اذهب اليوم اعمل في كرمي. فأجاب وقال ما أريد، ولكنه ندم أخيراً ومضى. وجاء إلى الثاني** (ويمثّل اليهود) **وقال له كذلك، فأجاب** (مرائياً) **ها أنا يا سيد، ولم يمضِ، فأي الاثنين عمل إرادة الأب. قالوا له الأول. فقال لهم يسوع "الحق أقول لكم إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله، لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به. وأما العشارين والزواني فآمنوا به. وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به"** (لو٢١:٢٨-٣٢).

فليس المهم تخدير الضمير ببعض الممارسات السطحية، بينما القلب سادر في غيّه وخطيته دون رغبة في التوبة، وإنما أن يرجع الخاطيء عن طريقه الرديئة مهما طالت غربته، ويقبل إلى الله ولو في الساعة الأخيرة، فينال نصيبه كأصحاب الساعة الأولى (مت ٢٠:٩).

+ وصادف الرب أيضاً عدة مواقف تكشف عن تناقض التدين مع السلوك:

(١) ففي بيت **سمعان الفريسي** حيث التقى الرب **بالمرأة الخاطئة** التي بلّت قدميه بدموعها وقبلتهما ودهنتهما بالطيب ومسحتهما بشعر رأسها، بينما الفريسي المُضيف المتظاهر بالمودة كان يفكر بالسوء عن الرب متسائلاً: لو كان حقيقةً نبياً لعلم أن هذه "**الامرأة**" (التي سمح لها أن تلمسه) هي خاطئة معروفة في المدينة. وهو ظلّ على تعاليه واحتقاره لها ولم يحفل بدموعها ويفرح لانسكابها وتوبتها الظاهرة. فكشف له الرب عن معرفته بما جال في فكره وقارن بين ضيافته الفقيرة وضعف محبته وبين محبة هذه المرأة الغامرة وتوبتها المغتسلة بالدموع **وبها نالت غفران خطاياها الكثيرة**. وربما كانت خطايا

الفريسي أقل، ولكنه سيظل بها خاطئاً إلى أن يكتشف حاجته إلى التوبة التي سبقته إليها من كان يراها "إنها خاطئة" (لو ٧:٣٦-٥٠).

(٢) ومرة أخرى والرب يعلّم في الهيكل "قدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أُمسكت في زنى" بقصد أن تُرجم حسب الناموس، ولكنهم غفلوا عن أن لكل منهم خطاياه المستترة التي لم تنفضح مثلما حدث للمرأة. وأراد الرب أن يكشف لهم رياءهم، وانحنى إلى أسفل يكتب بأصبعه على الأرض (وربما يسجل أنواعاً من الخطايا يسقط فيها الجميع)، ولكنهم لم يبالوا. وظلوا يسألونه عن موقفه من المرأة الزانية، فانتصب وواجههم بقولته الشهيرة **"من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر"** وانحنى يواصل الكتابة على الأرض. "وأما هم فلما سمعوا، وكانت ضمائرهم تبكّتهم، خرجوا واحداً فواحداً **مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين"**، حتى خلا المكان إلا من الرب والمرأة التي غيّر حياتها قائلاً لها **"ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضاً"** (يو ٨:١-١١). ففي الرياء ننشغل عن خطايانا بخطايا الآخرين، ولا ندرك حاجتنا إلى التوبة كي ننال الغفران، وهكذا نبقى في خطيتنا.

(٣) وهو في طريقه إلى أورشليم للمرة الأخيرة، أرسل الرب رسلاً إلى قرية للسامريين ليعدّوا له، ولكن هؤلاء رفضوا أن يقيم عندهم، فضايق ذلك تلميذيه **يعقوب ويوحنا** وسألاه "أتريد أن تقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً" (مع رسل أخزيا بن آخاب- ٢مل ١:١٠، ١٢). فالتلميذان لا زالا يعيشان العهد القديم، ولم يتشرّبا بعد نهج المسيح الجديد، فانتهرهما الرب وقال **"لستما تعلمان من أي روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص"** (لو ٩:٥١-٥٦). فالمسيح مخلص، وقانون المسيحي **"لا تجازوا أحداً عن شر بشر"** (رو ١٢:١٧).

الكتبة والفريسيون نموذج الرياء أيام المسيح

في أكثر من مناسبة أدان الرب رياء الكتبة والفريسيين وتدينهم الظاهري، وكيف أنهم بهذا يقودون شعبهم إلى الهلاك (مت ٢٣:١٣):

(١) فقال للجموع مشفقاً ومحذراً **"حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم"** (مت ٢٣:٣، ٤). فهم فقط **يكلّفون الناس بالعبادات والفرائض ولكنهم لا يمارسونها هم أنفسهم**؛

(٢) وقال إنهم **يتخذون فقط مظهر التقوى لكي تنظرهم الناس** (أي لحساب الناس ولنيل رضاهم ومديحهم) **"فيعرّضون عصائبهم ويعظمّون أهداب ثيابهم"** (مت ٢٣:٥)؛

(٣) وإن لهم **ظاهراً جيداً ولكن قلبهم ممتليء بالشر والنجاسة: "ويلٌ لكم لأنكم تنقّون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة... ويل لكم.. لأنكم تشبهون قبوراً مبيّضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم أيضاً من خارج**

تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً" (مت٢٣:٢٥-٢٨، لو ١١:٣٩، ٤٤)؛

(٤) وعلى عكس ما ينبغي أن يكون عليه خدام الله، هم **يسعون إلى العظمة والتكريم والألقاب: "يحبّون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي"** (مت٢٣:٦، ٧، لو ١١:٤٣)، والرب يحثنا نحن كمقتفين أثره أن نتكيء في الموضع الأخير (لو ١٤:١٠)؛

(٥) وهم **يمارسون عبادات طويلة لكنها شكلية آلية بينما ينهبون بيوت الأرامل: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلّة تطيلون صلواتكم"** (مت٢٣:١٤)؛

(٦) وهم **يهتمون بشكل العبادة والوصايا الهامشية ويهملون جوهر الناموس وأعمدة الإيمان: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشّرون النعنع والشبث والكمّون وتركتم أثقل الناموس، الحق والرحمة والإيمان، كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك"** (مت٢٣:٢٣، ٢٤، لو١١:٤٢)؛

(٧) وهم **أصحاب فتاوي تهتم بالشكل والحرف ويغذّيها الجهل** مثل **"من حلف بالهيكل (أو بالمذبح) فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل (أو القربان الذي على المذبح) يلتزم.. أيها الجهال والعميان"** (مت٢٣:١٦-٢١)؛

(٨) وهم **سطحيون فبينما يتقنون أمور العالم وحياة الجسد يغفلون عن التعمّق في أمور المصير بالغة الأهمية**، فيقول لهم **"يا مراؤون تعرفون أن تميّزوا وجه الأرض والسماء** (إذا كان المساء قلتم: صحوٌ لأن السماء مُحْمَرّة، وفي الصباح: اليومَ شتاءٌ لأن السماء مُحْمَرّة بعبوسة؛ إذا رأيتم السحاب تطلع من المغارب تقولون إنه يأتي مطر فيكون، وإذا رأيتم ريح الجنوب تهب تقولون إنه

سيكون حر، فيكون) **ولكن علامات الأزمنة فلا تستطيعون** (تمييزها)" (مت١٦: ٢، ٣، لو١٢: ٥٤-٥٦)؛

(٩) وهم **خبثاء فيسألون ويستفسرون لا ليفهموا وإنما بقصد أن يصطادوا الرب بكلمة.** فها هم تلاميذ الفريسيين مع الهيرودُسيين يقولون بخبث للرب "يا معلم.. نعلم أنك صادق وتعلّم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس (مديح كاذب بهدف الإيقاع) فقل لنا ماذا تظن؟ أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع **خبثهم** وقال لهم "**لماذا تجربونني يا مراؤون؟ .. أعطوا .. ما لقيصر لقيصر وما لله لله**" (مت٢٢: ١٥-٢١)؛

(١٠) وهم **أحاديو النظرة تلتقط عيونهم جانباً من الصورة ولا تتكامل الرؤية عندهم،** مثل هؤلاء الذين دانوا المسيح على معجزاته لأنها تمت يوم **سبت،** دون أن يلتفتوا إلى الخير الذي يصيب الناس فجعلوا فعل الرحمة يتعارض مع تقديس السبت:

+ فبعد أن شفى الرب **المرأة المنحنية** لثماني عشرة سنة في يوم سبت، علّق رئيس المجمع وهو مغتاظ على الأمر وقال للجمع: هي ستة أيام ينبغي فيها العمل، في هذه ائتوا واستشفوا وليس في يوم السبت. فأجاب الرب وقال "**يا مرائي ألا يحلّ كل واحد فيكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه. وهذه، وهي ابنة ابراهيم، قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة، أما كان ينبغي أن تُحل من هذا الرباط يوم السبت**" (لو١٣: ١٠-١٦)؛

+ وأيضاً بعد أن شفى الرب **المستسقى** في السبت، ولم يُجب الناموسيون والفريسيون - لريائهم - الربَّ على سؤاله لهم "**هل يحل الإبراء في السبت؟**" (فهم لم يوافقوا كما لم يعلنوا اعتراضهم، لأن ما جرى كان فعل رحمة)، فأجابهم "**من منكم يسقط حماره أو ثوره في بئر ولا ينتشله حالاً في يوم السبت**" (لو١٤: ٢-٥). فلو كان الأمر يتعلق بهم لفعلوه، ولكنهم يحرمونه على غيرهم حتى ولو كان شفاء مريض. فأي انحراف هذا عن جادة الحق والصواب!.

إدانة الرياء في خدمة الرسل وتعليمهم

حرص **الرسل** في خدمتهم على حمايتها من تسلل الرياء وأساليب العالم إليها، فتفقد فرادتها ونقاءها وبالتالي قوتها. وفي الأيام الأولى للكنيسة الوليدة حيث انصهر الجميع في جسد واحد، وحيث كان الأغنياء يبيعون ممتلكاتهم ويقدمون أثمانها إلى الرسل للتوزيع على المحتاجين، تحرّج **حنانيا** الغني أن يتخلّف عن غيره فباع هو أيضاً حقله ولكنه ضنّ أن يقدم كل ثمنه للكنيسة وقدم فقط جزءاً منه دون أن يصرّح. وأيّدته امرأته **سفيرة** عندما سئلت. ولكن الروح القدس كشف تواطؤَهما وكذبهما، وتكلم على لسان **القديس بطرس** قائلاً "**يا حنانيا.. لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل.. أنت لم تكذب على الناس بل على الله**". ووجّه كلامه **لسفيرة** فيما بعد قائلاً: "**ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب؟**". وكانت الخاتمة الحزينة أن سقط **حنانيا**

وبعده **سفيرة** ميتين. ولكن الخدمة استقامت وتنقّت من اختلاط الخير بالشر وتلوث الإيمان بالرياء **"وصار خوف على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك"** (أع٥:١-١١)[١].

+ وفي السامرة عندما رغب **سيمون** الساحر أن يضم أيضاً إلى مهارته في السحر سلطان وضع اليد[٢]، وعرض على **الرسولين بطرس ويوحنا** شراءه بالمال قائلاً "أعطياني أنا أيضاً هذا السلطان حتى أي من وضعت عليه يديّ يقبل الروح القدس" (أع ٨:١٩)، ولكن، لأن الكنيسة تعرف أن قوتها هي في الروح وليس في المال أو الأشياء [**ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي إياه أعطيك. اسم يسوع المسيح الناصري**.. (أع ٣:٦)]، صاح بطرس من فوره **"لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم"** (أع ٨:٢٠). كان سيمون قد آمن واعتمد على يد فيلبس وظل ملازماً له ولكن قلبه لم يكن مستقيماً أمام الله، وظل متعلقاً بروح العالم واحتاج أن يسمع صوت الكنيسة **"تُب عن شرِّك واطلب من الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك"** (أع ٨:٩-٢٤).

وفيما عمله **القديس بطرس** كان إدانةً للرياء، وإعلان استقلال الكنيسة عن العالم، وأن مواهب الروح فيها لا تباع ولا تشترى[٣] **"مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا"** (مت ١٠:٨). غنى الكنيسة الحقيقي هو في الروح القدس الذي يملؤها وهي بالتالي لا يمكن أن تحتاج.

---

(١) تمنع قوانين الكنيسة قبول العطايا والعشور التي تأتي عن طريق الحرام، وترفض قانون العالم "أن الغاية تبرر الوسيلة"، فلابد أن تكون الغاية والوسيلة كلتاهما مقدستين.

(٢) أي أراد المستحيل: أن يجمع النور مع الظلمة (٢كو ٦:١٤)، ويخدم الله والمال (مت ٦:٢٤).

(٣) انحرافات الكنيسة الغربية لجمع المال بوسائل ضد الإيمان (**صكوك الغفران**) كانت مؤشراً على انسحاب الروح. وهي كانت وستظل نموذج الخطر الماثل دائماً لسحب الكنيسة من دائرة الروح والحق إلى دائرة العالم ومبادئه، أي من القوة والغلبة إلى الضعف والانهيار.

+ على أن **القديس بطرس** نفسه وقع في المحظور. فبعد أن قاده الروح لتبشير الأمم من خلال **كرنيليوس** قائد المئة وعائلته وأصدقائه، خاصمه رفاقه اليهود، عند عودته إلى أورشليم من قيصرية، لأنه خالط الأمم وأكل معهم (أع ١١: ٢) [٤]. ورغم دفاعه عن موقعه بطاعة أمر الله **"فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس.. الله لا يقبل الوجوه. بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده.. إن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا بالسوية مؤمنين بالرب يسوع فمن أنا. أقادر أن أمنع الله"** (أع ١٠: ٢٨، ١١: ١٧، ٣٤)، إلا أنه ابتدأ يتخوّف من اليهود ويرائيهم، وازدوج تعامله مع الأمم فكان يتحرّج من التعامل معهم ويتجنّبهم في وجود يهود. وهذا ما لاحظه **القديس بولس** (الذي استدعاه **برنابا** للكرازة معه في إنطاكية- أول مراكز الأمم لقبول الإيمان)، فعندما جاء **القديس بطرس** لتتبع الأحوال، كان يأكل مع الأمم ولكن **"لما أتى قوم من عند يعقوب.. كان يؤخّر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان. وراءى معه باقي اليهود أيضاً حتى أن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم"**، كما كتب **القديس بولس** في رسالته إلى أهل غلاطية (غل ١: ١١-١٣)، فحتى **برنابا** الذي شارك في الكرازة بين اليونانيين تأثر بسلوك **القديس بطرس**. ولكن **القديس بولس**، وهو أيضاً اليهودي المتشدد، كان أكثر استقامة حسب حق الإنجيل وأوقف **بطرس** عن الاستمرار في ريائه، فيكتب **"قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً.. قلت لبطرس قدام الجميع: إن**

---

(٤) رغم أن المسيح الذي جاء لخلاص الجميع، هو الذي بدأ خدمة **الأمم** عندما شفى **غلام قائد المئة** وأمتدح إيمانه (مت٨: ١٠، لو ٧: ٩)، وشفى **ابنة الكنعانية** الأممية وامتدح أيضاً إيمانها (مت ١٥: ٢٢-٢٨، مر ٧: ٢٥-٣٠)، وتعامل مع **السامرية** وبشّر أهل السامرة وبقى عندهم يومين (يو ٤)، إلا أن تلاميذه ظلوا على ما نشأوا عليه من التحفظ من التعامل مع الأمم ورغم وصية الرب لهم بأن يكونوا شهوده إلى أقصى الأرض (أع ١: ٨)، ولكن عند الممارسة العملية ظهرت المصاعب التي احتاجوا معها إلى المساندة الإلهية وتوجيه الروح القدس المباشر: فذهاب **القديس بطرس** للقاء **كرنيليوس** سبقته رؤيا الملاءة العظيمة الحاوية لكل الدواب والطيور (أع ١٠: ٩-١٦)، وإرسالية **القديس بولس** للأمم دشّنتها مواجهة الرب له بكل قوته وهو في طريق دمشق (أع ٩: ٣-١٥)، فكان الإذعان من كليهما.

كنت وأنت يهودي تعيش أمياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا" (غل ١:١١، ١٤)، مؤكداً أن الإنسان يتبرر بدون أعمال الناموس **"أم الله لليهود فقط. أليس للأمم أيضاً. بلى للأمم أيضاً"** (رو ٣:٢٩، ٣٠). وهو ما حذّر منه أهل غلاطية ألا ينصتوا للذين يطالبونهم أن يتهوّدوا أولاً، كأن يختتنوا، كي يقبلوا المسيح مؤكداً أنه **"في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة"** (غل ٥:٦).

+ وكتب **القديس يعقوب** عن **المتدين الشكلي** المخدوع، الذي يخطيء في القول، بأن ديانته باطلة **"إن كان أحد يظن أنه ديّن وليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة"** (يع١:٢٦).

وهو يوبّخ المنتمين إلى الكنيسة الذين **يميّزون ويحابون** في معاملتهم للناس بحسب مستواهم الاجتماعي فيحتفون بالأغنياء ويحتقرون الفقراء قائلاً **"فهل لا ترتابون في أنفسكم وتصيرون قضاة أفكار شريرة.. فإن كنتم تكملون الناموس الملوكي حسب الكتاب: تحب قريبك كنفسك، فحسناً تفعلون، ولكنكم إن كنتم تحابون تفعلون خطية موبَّخين من الناموس كمتعدّين"** (يع ٢:١-٤، ٨، ٩).

كما يدين **القديس يعقوب الإيمان الشكلي – إيمان الكلام** – الذي لا يُترجم إلى عمل يكمله ويفعّله، ووصفه بأنه **ميت** كجسد بلا روح (يع ٣:٢٠، ٢٦)، ومثّله بخدمة الكلام دون عمل التي لا فائدة منها **"إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي فقال لهما أحدكم** (من خدام الكنيسة) **أمضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة؟"** (يع ٢:١٥، ١٦). فالشفقة الظاهرية والابتسامات المرسومة التي لا يصاحبها فعل يخفّف الضيقة أو يسد الأعواز هي كذب لا يليق وإهانة للمسيح ولمن دعاهم إخوته الأصاغر.

+ **والقديس بولس** من ناحيته يصف **المرائين في العبادة** بأن **"لهم صورة**

التقوى ولكنهم منكرون قوتها" (٢تي ٣:٥). أي أنهم بسلوكهم المظهري يجرّدون عبادتهم من قوتها الروحية. فحياتهم مزدوجة: يرتدون مسوح الدين والقلب يمتليء بالدنس، يمارسون طقوس العبادة كإنسان آلي مبرمج يعبد بشفتيه ولكن القلب مبتعد. وهو يوصي أيضاً باستقامة المحبة وصدقها **"المحبة فلتكن بلا رياء"** (رو ١٢:٩).

+ **والقديس يوحنا** بدوره يدين **محبة الكلام** (أو رياء المحبة أو المحبة المرائية) التي تتجاهل حاجة المعتازين ولا تبالي بهم إلا بالكلام الذي لا يسمن ولا يغني من جوع **"أما من كانت له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه. يا إخوتي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق"** (١يو ٣:١٧، ١٨). فالرياء يهدد المحبة كما يهدد الإيمان ويزيّفه. وارتباط الإيمان بالمحبة لا يحتاج إلى بيان **"إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال** (كما قال الرب – مت ١٧:٢٠) **ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً"** (١كو١٣:٢).

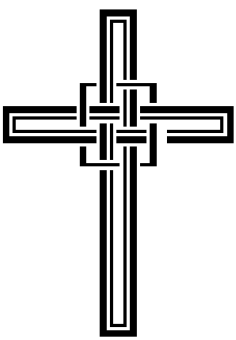

رياء المجتمع

لا يقتصر الرياء بالطبع على الوسط الديني، فالرياء في الأصل هو أحد أمراض مجتمع العالم[1]. الذي يتسلل ليصيب السلوك الروحي. فالرياء الروحي هو انسلاخ من الإيمان وخروج إلى العالم. وبينما الملتزم روحياً هو مواطن جيد ويخدم مجتمعه بأمانة وصدق وإخلاص باعتبار أنه يخدم الله، يظل المرائي روحياً على ريائه في علاقاته المجتمعية متواصلاً بسهولة مع ما يسود العالم من حوله من زيف وغش وتظاهر وكذب.

والمرائي روحياً، بضعفه النفسي وأنانيته وانتهازيته وسعيه للاستفادة بأقصر الطرق وأقل مجهود، يتصرف في العالم كأهل العالم. فهو مثلهم ينجح بالغش،

---

(١) وحتى بعض الدول والحكومات تمارس **الرياء**، فتعد مواطنيها ولا تفي، وتتكلم عن المساواة بينما هي تميّز وتنحاز، وتنادي بالعدل الذي هو أساس الحكم ولكنها تتجاوزه إن شاءت. ومن أجل حماية الدولة تُبرَّر كل الأثام وتجاوز القوانين. والسياسة على الصعيد العملي هي في معظمها ألوان من الكذب والنفاق والتظاهر ومجافاة الحق وسيطرة القوة واستغلال الضعفاء. و الكتاب يشير في كلمات قليلة أن **"العالم كله قد وضع في الشرير"** (١يو ٥:١٩).

ويستخدم أي شيء وكل شيء لتحقيق غايته، يرشي ويرتشي ويتجاوز القوانين كلما استطاع ليأخذ ما لا يستحق متعدياً على حقوق غيره، وهو يعمد للمداهنة وتملّق الكبار[٢] متصاغراً أمام من له حاجة عندهم، مؤيداً لهم مبرراً أفعالهم، وهو ينضم تلقائياً للطرف الغالب بغض النظر عن موقفه من الحق، ولا يغامر بالدفاع عن مظلوم لئلا يُغضب أحداً. وبينما هو يتوارى ممن يخشاه، يتعالى ويتجبّر على من لا شأن له، وقد يظلمه بقلب بارد. وهو صاحب مشاعر كاذبة: مجاملات زائفة وابتسامات مصطنعة قد تخفي تحتها كراهية دفينة. وليس ببعيد عن الذهن مشهد **يهوذا** وهو يلقي السلام على سيده ويقبّله بينما هو قادم ليسلمه للموت (مت ٢٦:٤٩، مر ١٥:٤٥، لو ٢٢:٤٧).

وهو بتدينه الشكلي منحاز متعصب لجماعته، كاره لغيرها، ولا يجد التسامح طريقاً إلى قلبه، والدين عنده قد انسلخ من علاقته بالله والإيمان وصار سلعة للاستفادة والتربح. واستقامة المؤمن ونقاوته هي ما يكشف زيف مجتمع العالم ونفاقه وانتهازيته وتدفع إلى تغييره وتحوّله. فالمؤمن هو ملح الأرض ونور العالم (مت ٢٥:١٣، ١٤)، والرب ينبه إلى مسئوليته "**إن فسد الملح فبماذا يملّح ... فإن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون**" (مت٥:١٣، ٦:٢٣، لو١١:٣٥).

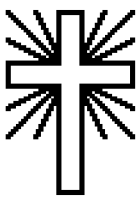

(٢) والمرائي هنا يضّر غيره، فالتزلف للكبار ومدحهم الدائم والمبالغ فيه يحولهم إلى متغطرسين ويجعلهم يتوهمون أنهم أبرار وينسيهم الاتضاع والتوبة. وهذه جريمة في حقهم وحق الكنيسة والمجتمع.

بين المجاملة والرياء

المجاملة هي التعامل اللطيف مع الآخر النابع من وصية **محبة القريب**. فنحن بمشاعرنا نشارك الأخرين الفرح أو الحزن ونعبّر لهم عن الشكر أو التهنئة أو التقدير أو التشجيع أو الترحيب أو المساعدة أو المساندة بأي نوع. ونحن في هذا كمؤمنين لا ندّعي ولا نتظاهر ولا نكذب بل نقدم "**للقريب**" مشاعر من القلب، صادقة وحقيقية، يمكن أن تتصاعد – إن اقتضى الأمر – إلى عمل محبة يكلفنا عن طيب خاطر جهداً أو مالاً أو وقتاً أو غيره من أعمال الإيمان.

وآيات الكتاب تؤيد هذا التوجُّه: "**كونوا لطفاء بعضكم من نحو بعض**" (أف ٤: ٣٢)، "**مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة.. فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين.. مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً**" (رو١٢: ١٠، ١٥، ١٦)، "**شجعوا صغار النفوس**" (١تس ٥: ١٤).

+ **والمجاملة** تعامُلٌ إنساني طبيعي ويعرفها العالم أيضاً باسم الذوق واللياقة، ويمارسها البعض من أهل العالم بصورة صادقة للشركة الإنسانية. ولكنها قد تتزيف بالرياء وتصير شكلية سطحية عند البعض، مثل ذلك النموذج الذي ساقه معلمنا يعقوب للتعامل الوهمي مع المحتاجين بكلمات دون فعل (يع ٢: ١٥، ١٦).

+ **والمجاملة** عند المؤمنين لها بُعد إيماني، فهي حقيقية وترتسم فيها صورة **المسيح** صاحب المشاعر الرقيقة الذي شارك في الحزن والفرح، والذي تحنّن على كل المحتاجين والمتألمين. المؤمن الحقيقي يستشعر مسئوليته تجاه الكل لأنه ليس منكفئاً على نفسه منشغلاً فقط بأموره وأمور من ينتمي إليهم ومن ينتمون إليه، ولكنه وقد خرج من ذاته هو المؤهل لمجاملة الجميع دون انتظار المقابل، فيثير الفرح أو يهب العزاء، لا يهمل ولا يتجاهل، ويساعد قدر ما يستطيع.

والمجاملة هنا بنّاءة، حريصة مترفّقة، وتتفادى المباشَرة المؤذية الصادمة، وتحترم مشاعر الأخرين، وتعبّر عن ذاتها دون مغالاة مفتعلة في إظهار الفرح أو الحزن، فهذا لا يفيد وإنما يفسد العلاقة المشتركة فالعواطف الزائفة سرعان ما تنكشف، وقد يكون رد الفعل أليماً.

وصدق **المجاملة** وبُعدها المسيحي وتطبيقها لوصية المحبة تسطع عند مشاركة من يعادينا آلامه وأحزانه بغير شبهة تشفٍّ أو فرح في بليّته، وسلوكنا هذا قد يجعله يراجع موقفه منّا وربما أنقذه من عدائه.

+ لسنا مضطرين للمغالاة في المديح بغير معرفة أو تجاوزاً للحقائق خاصة في وداع المنتقلين. هنا نتكلم بكلمات التعزية للمتألمين ونصلي من أجل أن يكون الملكوت نصيب الكل، وربما نقدم المنتقل كنموذج لمؤمن حقيقي إن كنا نعرفه.

+ الاستقامة والصدق التزامان على الآباء، فلا مجاملة للكبار أو الصغار على حساب الحق، وإذا اقتضى الأمر المواجهة واللوم فليكن بروح المحبة والوداعة والتواضع وبغير قسوة أو تشهير خاصة مع صغار النفوس.

+ في العلاقات الإنسانية، وفي تقديرنا لمشاعر الأخرين وتفادياً للانتقاد أو الإدانة أو العثرة، فقد لا نصرّح بكل ما نعرف في أمر ما، وربما حجبنا بعض الحقائق في موضوع قد يثير الحرج أو الألم، فنعمد إلى اللباقة واختيارالكلمات بدقة. هذا لا علاقة له بالكذب أو الرياء طالما كان القصد نبيلاً إيجابياً وليس إخفاءً للحق أو تضليلاً للناس.

خطورة الرياء

لاشك أن المؤمن المرائي(!) أخطر على نفسه من الخاطيء الصريح. فالأول يظل يجتهد في إخفاء حقيقته عن الناس ويمضي حياته كلها يتكلف ويراوغ ويناور ويكذب ويصارع نفسه حتى لا ينكشف أمره. وفي النهاية ينخدع هو ذاته ويصدق نفسه أنه حقق المعادلة المستحيلة وأرضى الجميع، وأن عيوبه قد تلاشت وأن ما يدّعيه صار حقيقته. وهكذا يعجز عن إدراك حاجته إلى الله.

من هنا تتضح خطورة **الرياء**، لأنه يحجب الرؤية ويعطي انطباعاً زائفاً أن صاحبه – بما يمارسه شكلياً من أمور التدين – ليس خاطئاً وأنه ضمن شعب الله، وكلمات التبكيت لا تجد طريقها إلى قلبه ولا تقصده، فلا يسعى بالتالي إلى التوبة لينجو، حتى يفاجئه الموت بغتة.

أما الخاطيء الصريح فظروفه أفضل نسبياً، لأنه بإقراره أنه خاطيء قد ينصت يوماً لدعوة التوبة وربما يستجيب وتتغير حياته ويتمتع بعشرة حقيقية مع الله ويذوق حلاوة الحياة بالإيمان وهكذا يفلت من الموت.

نعم.. الرياء - كما وصف **معلمنا يعقوب**، اللسان المنحرف - هو أيضاً "**شر لا يضبط مملوء سماً مميتاً**" (يع ٣:٨)، واستبعاده من حياة المؤمن والكنيسة والمجتمع هو ضرورة لإنقاذ إيماننا وعبادتنا وتوبتنا، وبالتالي نجاتنا من الهلاك، وهو ضمان أن تظل الكنيسة نوراً للعالم وشاهدة لحق المسيح، ومن هنا يمكن أن يتغير المجتمع دوماً إلى الأفضل.

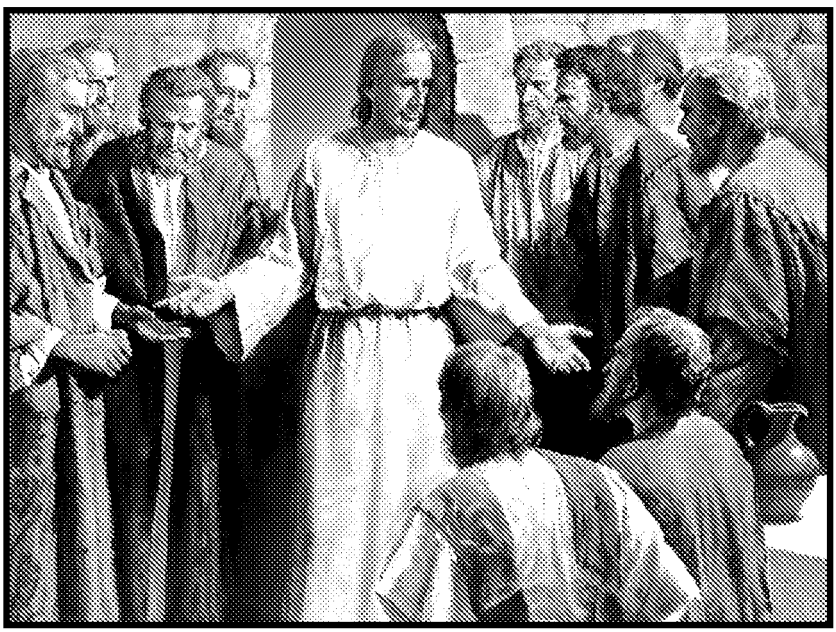

"جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان؟" (٢كو ١٣:٥)

كيف ننجو من الرياء ؟

ربما يكون مجدياً في هذا السبيل أن نلقي الضوء على دوافع **الرياء** ونسعى إلى تفنيدها ودحضها ومن ثم نجنّب حياتنا الانزلاق إلى الرياء، أو، إذا انكشف لنا انحرافنا، أن نجرد حياتنا من زيفها وازدواجها المدمّر كي نعيش في الحق والنور حتى الساعة الأخيرة.

(**١**) فالناس تعمد إلى الرياء **لإخفاء خطاياها وضعفاتها عن الناس**، فتدّعي البراءة وتتخذ مظهراً طيباً خادعاً فتنال رضاهم. ولكن الحقيقة أن الرياء هنا قصر نظر وحماقة وجُبن، إذ أنه مهما طال الإدعاء والتكلف والتصنع والتستر والكذب فلابد أن ينكشف زيف المرائي وخداعه ويفتضح أمره ويفقد ثقة الناس فيه. وكلمات الله تقول هنا للجميع "**ليس مكتوم لن يُستعلن ولا خفي لن يُعرف. لذلك كل ما قلتموه في الظلمة يُسمع في النور وما كلمتم به الأذن في المخادع يُنادى به على السطوح**" (لو١٢:٣، ٤)، فحبال الكذب قصيرة وثوب الرياء يشفّ عما تحته.

ومن ناحية أخرى فإن أحكام البشر تعتمد على الظاهر، فهم ينظـــرون إلى العينين (١صم١٦:٧)، وآراؤهم متقلبة، وهم لا يملكون مـــن أمرنـــا شـــيئاً. **والقديس بولس** يقول **"لو كنت بعد أُرضي الناس لم أكن عبداً للمـــسيح"** (غل ١:١٠). وحتى إن انخدع الناس فالله هو **"فاحص القلـــوب و(مختـــبر) الكُلى"** (مز ٧:٩، إر ١٧:١٠، رؤ ٢:٢٣) **"وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا"** (عـــب ٤:١٣). **ومعلمنا داود** يقـــول **"أين أذهب من روحك ومن وجهك أيـــن أهـــرب؟"** (مز ١٣٩:٧). فلنحسب حساب الله ونتقيه لأن **"حياة في رضاه"** (مز ٣٠:٥) ونردد مع **داود النبي "علمـــني أن أعمـــل رضـــاك لأنـــك أنـــت إلهـــي"** (مز ١٤٣:١٠).

(٢) والناس يراؤون **خوفاً من الناس أو السلطان**، فيكتمـــون الحـــق أو يزيفونه، أو ينكرون إيمانهم لتفادي الاضطهاد أو النجاة مـــن الآلام أو إيثـــاراً للسلامة وضمان الحياة. ولهؤلاء يقول الرب **"لا تخافوا من الـــذين يقتلـــون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها.. بل خافوا بالحري من الـــذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهـــنم** (أي الله الـــديان).. **مـــن ينكرني قدام الناس أنكره أنـــا أيـــضاً قـــدام أبي الـــذي في الـــسموات"** (مت ١٠:٢٨، ٣٣، لو ١٢:٤، ٥، ٩). وهو يشجعنا بمساندته **"لا تخـــف لأني معك"** (تك ٢٦:٢٤، إش ٤١:١٠) **"ومتى قدموكم إلى المجـــامع والرؤســـاء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتّجون أو بما تقولون لأن الروح القدس يعلّمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه"** (لو ١٢:١١، ١٢). وداود المحتمي في الله يقول مطمئناً **"الرب نوري وخلاصي ممن أخاف الرب حصن حيـــاتي ممن أرتعب.. إن نزل على جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليّ حرب ففـــي ذلك أنا مطمئن"** (مز ٢٧:١، ٣). فلنثبت عيوننا على مـــصيرنا الأبـــدي ولا تشغلنا متغيرات الزمان الحاضر الذي سينتهي يوماً.

(٣) والناس يراؤون **تزلُّفاً ونفاقاً للكبار** بالمغالاة في المديح الكاذب لتأكيد ولائهم، ولنوال رضاهم والاستفادة من ورائهم، لأنهم وضعوا كل رجائهم فيهم وليس على الله المكتوب عنه "**يفتح يده فيشبع كل حيٍّ رضىً**" (مز ١٤٥: ١٦). والكتاب يقول لهؤلاء "**لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه.. طوبى لمن إله يعقوب معينه ورجاؤه على الرب إلهه**" (مز١٤٦: ٣-٥).

النفوس التي تحيا الإيمان تضع كل رجائها في إلهها، وفيه لا تعرف إلا الحق، والكرامة الإنسانية التي خصّها بها الله تأبى عليها أن تداهن وتتزلف لأحد. وهي إن مدحت قالت حقاً، وعندها من الأمانة والشجاعة أن تنصح وتقوّم. وهي أمام الكبار تشهد بالحق وتقدم المشورة بكل اتضاع وتنصح وتساند بالرأي بغير انحياز، وطوبى لرئيس يحيط به مخلصون يبصّرونه بالحق. وكم من الرؤساء أفسدهم النفاق ودمّر حكمهم. وأمامنا مثل رحبعام ابن سليمان الذي رفض مشورة الشيوخ العقلاء بتخفيف النير عن الشعب وتبع مشورة الأحداث المضادة، وكانت النتيجة انشقاق عشرة أسباط عنه وانقسام مملكة داود وسليمان (١مل١٢: ١-٢٠).

(٤) والناس تلجأ للرياء **للحصول على مغانم أو لتفادي الخسائر**، فهي تستحل الكذب والتزييف والرشوة طمعاً في المال أو المقتنيات أو تتزلف لتفتدي الأشياء. وهي تعرف أنها تكسر الوصية ولكن يغلبها الاشتهاء فتتناسى التزامها ومحبتها الأولى وتعطي ظهرها لله. ولهؤلاء يأتيهم الصوت ينبه وينذر "**من أراد أن يخلّص نفسه** (من التزامها الإيماني) **يهلكها** (يقودها إلى الهلاك) **ومن يهلك نفسه** (أي ينكر شهواتها) **من أجلي فهذا يخلصها** (يحفظها إلى حياة أبدية) **لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الانسان فداءً عن نفسه**" (مت ١٦: ٢٥، ٢٦، مر ٨: ٣٥-٣٧، لو ٩: ٢٤، ٢٥، ١٧: ٣٣، يو١٢: ٢٥).

(٥) والناس قد تلجأ للرياء **إذا خشيت عواقب ذكر الحقيقة، أو عندما تعجز عن المواجهة**، أو طمعت في الحصول على ما لا تستحق، فتتحايل على الحقيقة بالكذب أو التزوير أو التهوين أو التهويل أو بالحذف أو بالإضافة أو حتى بالقسم، وهم في هذا يهينون حق الله ويهينون أنفسهم وكرامتهم الإنسانية ويدينون أنفسهم بالخوف من البشر والتجاسر على الله. وكلمة الله تنهي عن الكذب وتدينه **"لا تكذبوا"** (لا ١٩:١١، كو ٣:٩) **"كراهة الرب شفتا كذب"** (أم ١٢:٢٢)، وتصف إبليس بأنه **"كذاب وأبو الكذاب"** (يو٨:٤٤) وتعلن أن نصيب الخائفين وجميع الكذبة هو البحيرة المتقدة (رؤ ٢١:٨).

الكذب ضعف وانحراف عن جادة الحق وخوف مهين، والنفوس التي تخاف الله لا تخاف الناس، وتملأ قلبها جسارة الحق ولا تعرف إلا الصدق ولا تطيق الكذب. في مَثَل **الابن الضال** أنه **"رجع إلى نفسه"** بعد الإنحدار الذي انتهى إليه في كورة الخنازير حتى أنه **"كان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله فلم يعطه أحد.. فقام وجاء إلى أبيه"** (لو١٥:١٦، ١٧، ٢٠). يوما سيقود الكذب هذا النوع من المرائين إلى كارثة ربما يفيدون منها ويخرجون من سجنهم إلى رحاب الحرية، حيث الحق هو الطريق الأقصر والأصوب لإرضاء الله وتمجيد اسمه في المقام الأول، ومعه أيضاً التمتع باحترام الناس وثقتهم.

(٦) والناس تتزلق إلى **رياء العبادة عندما تفتر قوتها الروحية ويرهقها الجهاد**، وبعد مسيرة الروح الطويلة تكمّل بالجسد (غل ٣:٣) غافلة عن عين الله الضابطة. والرياء هنا لا يدخل من واسع الأبواب ولكنه يتسلل من الثغرات ويتمدّد خطوة خطوة. فقد يبدأ بالصلاة فيعطل انتظامها، أو يُخفت صوتها، أو يختزلها حتى تتحول إلى ممارسة آلية متعجلة، فتدب البرودة في الكيان، وترتد النفس إلى الماضي، وتتعسّر التوبة ويتوقف الاعتراف وتتجاسر الخطية من جديد. وشيئاً فشيئاً يتزايد التباعد وتتراجع جوانب النشاط الروحي الأخرى

من قراءة الكلمة أو الصوم أو الخدمة. وقتها يسود الرياء لاستبقاء الممارسات الروحية كمجرد عادات تؤدَّى بغير روح لإسكات الضمير وإرضاء الناس. وبعد دخول الثعالب الصغيرة وعدم طردها يصير القلب مرتعاً لإبليس وجنوده.

من هنا فالانتباه إلى بوادر تراجع الصلة مع الله، وعدم السماح بالاستطراد في هذا الاتجاه، والرجوع سريعاً إلى دفء العلاقة في الروح هو ما يجنّب النفس بلوغ هذه النهاية البائسة. والكتاب يحثنا على **مراجعة النفس** بين الحين والحين "**جربوا أنفسكم هل أنتم** (مازلتم) **في الإيمان؟ امتحنوا أنفسكم**" (٢كو ١٣:٥). وتصير المناسبات المختلفة (رأس السنة، أعياد الميلاد والزواج، أسبوع الآلام وغيره) فرصة مواتية لتحقيق هذه الغاية. وبالنسبة للجميع فإن الحياة الروحية النشطة، وفي المقدمة بالطبع **التوبة** المتواترة التي لا تتوقف، هي العاصم من الارتداد إلى الوراء أو افساح المجال لتسلل الظلمة إلى القلب.

(٧) **والناس ترائي في محبتها وتكتفي بالكلام والابتسامات الغاشّة لأن المحبة الحقيقية مكلِّفة**، وهم قد انحصروا في ذواتهم وأحبوا العالم الحاضر وأدمنوا الأخذ وضنّوا بالعطاء. هؤلاء ينكرون الإيمان ويتجاهلون وصايا سيدهم "**إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه (كل يوم) ويتبعني**" (مت١٦:٢٤، مر٨:٣٤، لو٩:٢٣)؛ "**تحب الرب إلهك من كل قلبك.. وتحب قريبك كنفسك**" (تث٦:٥، لا ١٩:١٨، مت ٢٢:٣٧، مر١٢:٣٠، ٣١، لو ١٠:٢٧).

والرب قدّم لنا نفسه مثالاً لكي نتبع خطواته "**تعلموا مني**" (مت١١:٢٩)، وهو أحب حتى المنتهى (يو١٣:١)، وامتدح العطاء لا الأخذ (أع٢٠:٣٥) وقال "**أعطوا تعطوا**" (لو ٦:٣٨). فالذين يزيّفون المحبة للناس منسحبون من طريق المسيح ويتخبطون في الظلام ويكشفون عن عدم محبتهم لله مهما ادّعوا: "**من يبغض أخاه فهو في الظلمة.. إن قال إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب**" (١يو٢:١١، ٤:٢٠)، وإن لم يرجعوا فسيفقدون نصيبهم الأبدي.

والمؤمنون الحقيقيون يثبّتون عيونهم على من وضع نفسه لأجلهم ويحفظون كلمته: ينكرون أنفسهم ويحبون **"بالعمل والحق"** (١يو ٣:١٨)، ويرون الرب في الجائع والعطشان والمحروم والمريض والغريب واليتيم والأرملة وكل محتاج ومتضايق، ويجدون غبطتهم في خدمة أخوة الرب (مت ٢٥:٤) مهما كلفهم الأمر، موقنين **أن الله ليس بظالم حتى ينسى عملهم وتعب المحبة التي أظهروها نحو اسمه** (عب ٦:١٠).

❋ ❋ ❋

المؤمن الحقيقي ينفر من الرياء والكذب، والروح الساكن فيه يسانده بكلمة الله والأسرار للالتزام بالحق والاستقامة. وهو يلتقط سريعاً بادرة أي انحراف عن المسار الصحيح، وبالتوبة يصحح خطواته، ويرجع إلى موقعه الأثير في دائرة النعمة.

والكنيسة في ختام كل صلوات القسمة، التي تختم بها القداس الإلهي، تسأل الله أن **يطهر "نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا وقلوبنا وعيوننا وأفهامنا وأفكارنا ونياتنا"**، لكي تكون صلواتنا أمام العرش الإلهي "بقلب طاهر، ونفس مستنيرة، ووجه غير مخزي، **وإيمان بلا رياء**، ومحبة كاملة، ورجاء ثابت..."، فهي تحثنا أن يتجرد إيماننا من الرياء الذي يتهدده.

الرياء في حقيقته خروج صريح عن الإيمان، وهو إحدى أدوات إبليس الناجعة وسلاحه الخفي (رغم شيوعه وانتشاره) كي يجرّد الحياة من صدقها، ويجعل منها هياكل فارغة مهيأة لسكنى عدو الخير. أن تتسم النفس وتوجّهاتها بالرياء علامة قاطعة أن النفس تاهت عن النور الحقيقي مهما كانت ممارساتها "الدينية" فهذه تؤدَّى آلياً بلا روح، وبلا عائد سوى أنها تضلل الشخص عن حقيقته.

على أن الرسائل التي يبعث بها الله إلى مثل هؤلاء كثيرة، سواء من خلال

الكلمة [مثل ما قاله الروح إلى ملاك كنيسة ساردس **"أن لك اسماً أنك حي وأنت ميت"** حاثاً إياه أن يسهر **"لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله"** (رؤ ٣: ١، ٢)]، أو من خلال أحداث الحياة وتجاربها. واللطمة قد تفيق الغافل وتوقظ النائم، والكارثة أو الخسارة المادية أو موت الأحباء أو المرض القاسي المفاجيء قد يكون له دوره في عودة الوعي والتوقف عن زيف الحياة.

ولمن رحمه الله وكشف عن انحرافه ورياءه، لَيصرخ إليه على الفور كي ينتشله من وهدته، ويعيده من جديد إلى صدق الإيمان وحياة الجهاد والخضوع للحق وتقوى الله، متحرراً من عبء الإدعاء والتظاهر الثقيل وازدواج الحياة ليسطع فيه من جديد وجه المسيح المنير.

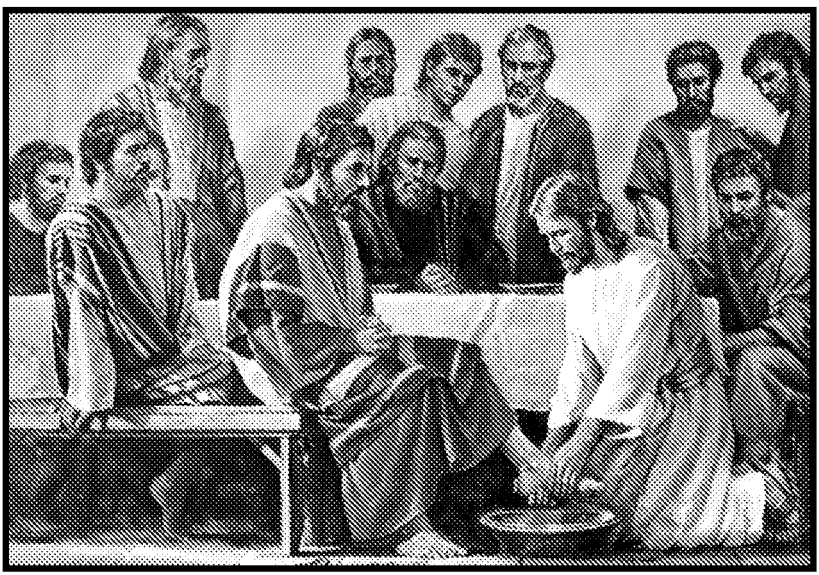

"ينكر نفسه.. ويتبعني" (مت ١٦: ٢٤)

الذات وتداعياتها

+ انكر ذاتك
+ نهوض الذات
+ الهم
+ القلق
+ الشك
+ الخوف

انكر ذاتك

نتناول هنا خصماً معروفاً، كثيراً ما نبهنا الكتاب إلى رفضه وتجنبه، وهو – ويا للدهشة– **الذات**. أي عندما يصير الإنسان ذاته عدو نفسه وخصمها الأكيد! [1]

ويُقصد **بالذات** (أو **الأنا**) Ego العنصر الجسدي في النفس، أي كل ما يغذّي الكيان الذاتي: أنانيتي، محبتي لذاتي، اعتزازي وكبريائي، ثقتي بنفسي، كرامتي، شخصيتي، استقلالي، ترفعي واعتزازي، إعجابي بنفسي ورضائي عنها، لذّتي، مواهبي وقدراتي وعطائي، وهكذا.

وبعض ما سبق ذكره إنساني وطبيعي وليس عيباً، بل أن بعضه مطلوب أيضاً، ولكن قد يصير بعضه رفضاً لهيمنة الله على الكيان، وخَصْماً من تسليم الحياة لله، وهكذا يصبح نقيضاً للإيمان والحياة مع الله.

---

(١) راجع مقال "**بذل الذات**" في الكتاب **الأول** من "**نور الحياة**" للكاتب (٢٠١٠)، ص ٥٥-٦٢.

والرب في تعليمه، لمن أراد أن يتبعه، بيّن أن نقطة البدء هي أن **ينكر نفسه**[٢] (مت١٦: ٢٤، مر٨: ٣٤، لو ٩: ٢٣). ذلك أن إيمان المؤمن يعني تسليم الجسد والنفس والحياة كلها لله يسيّرها كما يشاء: **"يا ابني أعطني قلبك"** (أم ٢٣: ٢٦). فبعد أن كانت ذاته تمتلكه، يصير الله هو المالك الأوحد، والقادر أن يعطي أكثر مما نطلب أو نفتكر (أف ٣: ٢٠). ومع بدء العلاقة مع الله، والنفس تختبر التحرر من أسر الذات وتحيا منطلقة حرة في رحاب العناية الإلهية، تتمتع بسلام يفوق العقل، مطمئنة من جهة الغد بغير هموم أو شكوك، ودون قلق أو خوف، وإن لم تخلُ الحياة من التجارب والآلام والأمراض والخسائر والفشل. فالثقة في الله لا تهتز، والإيمان قادر أن يحتوي كل الأتعاب دون أن يتراجع خطوة. بل إنه مع كل لطمة من العدو يتقدم الإيمان ويتدعم ليكون مؤهلاً للتعامل مع ما هو أقسى وأشد من مواقف الحياة.

هذا لا يعني أن المؤمن الذي سلّم حياته لله قد كفّ عن التفكير والعمل أو تجرّد من كل قدراته، وأنه قد سُلبت إرادته ويسير مغيَّباً وراء السيد. بل إنه، وقد اختار طريق الحياة، يتبع الرب بكامل إرادته ووعيه وقناعته وأمانته، متمتعاً بالمواهب التي تفيض بها النعمة عليه، ومؤازراً في حياة قداسته بعمل الروح الساكن فيه، متأهباً لكل عمل صالح (٢تي ٣: ١٧)، ومجاهداً بالسهر والعبادة، مطيعاً لتكليفات الرب له كي يؤدي ما يجب عليه بغير مراجعة أو تحفّظ واثقاً من تدخل الله في الوقت المعيّن.

فقد يُطلب منه أن يملأ الأجران بالماء والرب يحّوله إلى خمر (يو ٢: ٨)، أو يُلقى الشباك والرب يملأها سمكاً (لو ٥: ٦)، أو يقدم القليل من الدقيق والزيت (١مل ١٧: ١٤) أو القليل من الخبزات وصغار السمك، والرب يهب البركة (مت ١٤: ٢٠، ١٥: ٣٦، مر ٦: ٤١، ٨: ٦، ٧، لو ٩: ١٦، يو ٦: ١١)، أو أن يغتسل في البركة والرب يفتح العينين (يو ٩: ١٦)، أو أن يرفع الحجر والرب يقيم من الموت (يو ١١: ٤١). فتبعية الرب هي في حقيقتها إنكار للذات لإمكان الاتحاد مع الله.

---

(٢) وهي أولى الخطايا التي دخلت العالم بسقوط زُهَرَة بنت الصبح (إش ١٤: ١٢) الكروب الملآن حكمة وكامل الجمال (حز٢٨: ١٢-١٩) عندما قال في قلبه "**أصعد إلى السموات أرفع كرسي فوق كواكب الله.. أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العلي**" (إش ١٤: ١٣، ١٤)، فأسقطته محبته لذاته والخدر إلى الهاوية وصار "**الشيطان**" الذي بدوره حسد الإنسان وأوقعه في العصيان الذي قاده إلى الموت.

نهوض الذات

رغم كل شيء، فليس غريباً أن يحدث التراجع وينهض الإنسان العتيق من رقاده عندما تتاح له الفرصة، ربما **بالمفاجأة** التي تأخذ المؤمن على حين غـــرة، خاصة **ساعة الضعف**، كما جرى **لداود** عندما كان في فراغه يتمشى خالياً وقت المساء فكانت فرصة العدو لمهاجمته، وكان أن ساق له المـــشهد الـــذي استولى عليه. ومع وجود من يسّروا له تحقيق ما رغب فيه وما تداعى عنه من خطايا، كانت الهوة التي انحدر إليها دون أن يفطن لها، حتى أنقذه الله من ذاته فأرسل له **ناثان النبي** الذي أزاح من على عينيه غشاوتها فأدرك تغرّبه عـــن الله وارتداده إلى شهوة الجسد. بتوبته الدامعة تحرر من ربقة الذات وعاد إلى تبعية الله الذي يحبه (٢صم ١١: ٢- ١٢: ١٤).

+ وقد يحدث التراجع من مسار مختلف، كأن يهادن إبليس المؤمن فتمضى حياته في سلام دون حروب الجسد أو تجارب أليمة، فترتفع روحياته، ووقتها قد تتعالى ثقته في ذاته أنه نجح بقدراته أن يضبط ميوله. وبدل أن يعطي المجد لله

وعمل الروح القدس فيه، يظن أن برّه هو من ذاته فيفتُر جهادُه ويركن إلى التكاسل. وفي حياد النعمة التي لم يعترف بفضلها يهاجمه إبليس فيسقط في التجربة، والتي يسمح الله المحب بها ليدرك سوء مآله، ويرجع ليتمتع بمصادر القوة الحقيقية عندما يتخلى عن ثقته بنفسه ويعاود محبته الأولى.

+ كما قد تنهض الذات في أوقات **الضيق** الشديد، أو هول الأحداث والكوارث، أو المرض الخبيث الذي لا شفاء منه، أو حصار المضطهدين أو من يهددون الحياة بما يتجاوز مستوى إيمان البعض، فيغفلون ساعتها عن يمين الله الساهرة، ويهملون أسلحة الروح الموهوبة لهم من الله، والتي طالما استخدموها فيما مرّ بهم من أزمات سابقة فأنقذتهم. وبديلاً عن الالتجاء للصلاة والصوم وكلمة الله، يحدث الارتداد إلى **الذات** (أي إلى الجسد) والانسحاب من يقين الإيمان. عندها يمكن أن تجتاح النفس الهموم والشكوك والقلق، ويحاصرها الخوف والفزع وتفتقد السلام الذي كانت تختبره من قبل، ويضيع منها اليقين فيمن وعد أن يحفظ وديعتها إلى النهاية (٢تي ١٢:١) وتأخذ في التماس الحلول عند العالم أو تسأل الإنقاذ اتكالاً على ذراع البشر.

+ **الهم والقلق والشك والخوف**، عناصر غريبة لا تتفق وإيمان حي فعال يلتحم فيه المؤمن بالروح. إنها تنبيء عن هبوط مستوى الإيمان وفاعليته، وأن هناك ارتداداً إلى الذات وتحلّلاً من الثقة في الله. هؤلاء أعداءٌ وخصومٌ ينبغي التخلص منهم واستبعادهم كي يستعيد الإيمان حيويته ونشاطه وقوته.

وعندنا كلمة الله التي تكشف لنا مصادر ضعفنا، وتأخذ بأيدينا كي نسترد أنفسنا من ذواتنا، ونهرع عائدين إلى مصدر قوتنا وانتصارنا، وكيف نتخلص بالتالي مما يهدد صلابة الإيمان، وكيف ندعم دفاعاتنا كي لا تخترقها سهام هذه الخصوم من جديد.

الهـــم

الهم (من الاهتمام) هو بداية هذه السلسلة البائسة التي تؤدي في نهايتها إلى تسلط **الخوف** على الإنسان، أي تهاوي ثقته في الله وإنكاره والتخبط في الظلام وحيداً.

+ **الهم** هو الانشغال الشديد بمواقف الحياة الجارية أو الآتية. وقليلة قد يعبّر عن الشعور بالمسئولية والمبالاة والاهتمام وحسن التقدير والاعتناء. ولكنه لـــو تجاوز حدوده وساد الارتباك والاضطراب والانزعاج في كل المواقف، صغيرها وكبيرها [**"هم (هموم) هذا العالم"** (مت١٣:٢٢، مر ٤:١٩)، **"هموم الحيـــاة"** (لو ٨:١٤، ٢١:٣٤)]، فهو يعكر صفو الحياة ويفقدها ســـلامها وفرحهـــا ويشير إلى تراجع تسليم الحياة لله، ولو عن غير وعي، وغياب الثقة في الراعـــي المحب والمشير، القادر على كل شيء.

+ وقد كانت **مرثا** مخلصة وهي **"مرتبكة** في خدمة كثيرة" إكراماً للرب بما يليق وهو ضيف في بيتها، وشكت للرب أختها الصغرى التي تركتـــها تخـــدم وحدها وفقط كانت تجلس "عند قدمي السيد... تسمع كلامه". فنبهها الرب إلى الاختيار الصحيح بقوله **"مرثا مرثا. أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمـــور**

كثيرة ولكن الحاجة إلى واحد" (لو ١٠:٣٨-٤٢).

فالاتكال على الله لا يسلبنا حق التفكير والاختيار بين البدائل وأن نبذل كل ما نستطيع، واثقين أن الله الذي سلمناه الحياة يقودنا إلى الطريق الأفضل إذا كنا عاجزين بالفعل، على قدر ما هو متاح، عن التوصل إلى حل. أما الهم والاضطراب فلا. أمور العالم كلها، مهما كانت، لا تستحق. والرب يوجه أنظارنا إلى أن الانشغال ينبغي أن يتجه إلى **"الواحد"** وما يتصل به.

+ ولا يليق بالمؤمن أن يهتم بأمور الجسد. بل إن الكتاب يقرن اهتمام الجسد بالموت (رو٨:٦) وأنه **"إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما"** (١تي ٦:٨). والرب نهانا عن الاهتمام بالمال والطعام والشراب واللباس، وكشف لنا عن عنايته بطيور السماء التي يقوتها الآب السماوي بغير أن تزرع وتحصد أو تجمع إلى مخازن، وزنابق الحقل التي يُلبسها الله بغير أن تغزل، وأننا عند الله أفضل من الطيور والزنابق، وهو يعلم باحتياجاتنا الأساسية هذه ويوفرها لنا على أن نؤدي ما علينا. واهتمامنا الحقيقي ينبغي أن يتجه أولاً إلى ملكوت الله وبره (مت٦:٢٤-٣٣، لو ١٢:٢٢-٣٠) [**"اهتموا بما فوق لا بما على الأرض"** (كو٣:٢)].

وكان ختام الوصية هنا **"لا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره"** (مت٦:٣٤)، أي ألا نستبق الأيام وننشغل بما لم يأت ولا نعرف، ويكفي أتعاب عمل اليوم. فاهتمامنا بالغد لن يغيّر من الأمر شيئاً سوى أن يضيف إلى أتعابنا ويضاعف عبء الحاضر، وعندما يأتي الغد سيحمل معه وسائل التعامل معه.

+ والرب ينهي عن **الاهتمام**، أي عن حمل الهموم واضطراب النفس، ولكن ليس عن التفكير المتعقّل الذي يدرس ويستعد ويتهيأ، ويطلب من الرب أن يبارك ويقوي ويختار لأنه العارف بكل شيء، وهو المبدأ والغاية **"ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم"** (١بط ٥:٧).

وأمامنا خبرات **داود النبي** في هذا المجال. فهو يحمل همومه ويأتي بها عند مريح التعابى معبراً عن ثقته في قدرة الله ومعونته:

"إلى متى يارب تنساني... إلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم... أما أنا فعلى رحمتك توكلت" (مز١٣: ١، ٢)؛

"إصغ يا الله إلى صلاتي.. استمع لي واستجب لي.. أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصني.. إلق على الرب همك فهو يعولك.." (مز ٥٥: ١، ٢، ١٦، ٢٢)؛

"عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذّذ نفسي" (مز ٩٤: ١٩).

كما يحثنا الكتاب ألا نهتم عندما يحاصرنا العالم كمؤمنين **"لأنكم تُعطَوْن في تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم** (الروح القدس)" (مت١٠: ١٩، ٢٠، مر ١٣: ١١)؛

"لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلم طلباتكم لدى الله" (في٤: ٦)؛

"فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة.." (لو٢١: ٣٤).

الانحصار في الهم والتوتر والتوجس الدائم والتشاؤم والسوداوية، فضلاً عن أنه ضد الإيمان والرجاء، هو معطل للنمو، وعائق أكيد عن الاتصال بالله. فأي صلاة هذه إذا كان صاحبها غارقاً في الهم لا يريد أن يفارقه. فالهم حائل يحجب رؤية الله.

من الحكمة إذاً السعي للإفلات من سجن الهموم إلى رحابة محبة الله ورعايته والإيمان به والثقة فيه، وتخليص الإيمان من أحد خصومه.

لا تحمل همك، إلقه على كاهل من يريد أن يحمله عنك القائل **"تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"** (مت ١١: ٢٨).

القلـــق

إذا لم نغلب **الهموم** أو لم نحصرها في إطارها الطبيعي، فإنهـــا تتـــصاعد إلى **القلق** الذي بعضه طبيعي غريزي ومبرر، باعثة الوعي والمبالاة وتقدير المواقف وجدية الحياة والسعي للإتقان والرغبة في التفوق والشعور بالمسئولية أو التعبير عن الحب والتقدير. وأصحاب النفوس الكبيرة والضمائر اليقظة والطامحين إلى الأفضل عندهم دوماً بعض القلق الذي يُترجم إلى عمل وبذل وأمانة. وهـــذا النوع من القلق هو الذي نختبره قبل الشروع في أمر يشغلنا ونتمنى التوفيق فيه بقدر ما يتطلبه من جهد[1]، أو ترقّب النتيجة أو القرار المنتظر في أمر يهمنا أو يؤثر علينا.

ولكن بعض **القلق** ضار وذلك عندما يتجاوز حدوده مؤثراً علـــى جهـــاز المناعة والأعصاب والحواس وأعضاء الجسد المختلفة (التأثيرات النفس-جسدية Psychosomatic)، وبهدد سلام النفس ويصيبها بالاتباك والعجز، ويطعن الإيمان

(١) مثلاً قبل بدء المباراة أو المحاضرة، أو أي بدء جديد كحفل أو عرس أو استقبال أو غـــيره مـــن المناسبات، أو عند صدور كتاب أو غيره

ويتنافر معه، بل ويهدد الحياة ذاتها، وهو ما يجب التعامل معه واستئصاله[٢].

حساب النفقة

على أن الكتاب يحثنا كمؤمنين متكلين على إلههم في كل أمر أن نحسب في نفس الوقت حساب النفقة ونحن مقبلون على عمل ما أو نقطة تحول (امتحان، خدمة جديدة، عمل جديد، مشروع، تصميم، لقاء، هجرة.. الخ) فيقول "**ومن منكم وهو يريد أن يبني برجاً لا يجلس أولاً ويحسب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله، لئلا يصنع الأساس ولا يقدر أن يكمل فيبدأ جميع الناظرين يهزأون به قائلين هذا الإنسان ابتدأ يبني ولم يقدر أن يكمل**" (لـــو ١٤:٢٨-٣٠). فعلى النفس ألا تترك الأمور تسير على عواصفها وتدرس كل شيء قبل الإقدام على الأمر. فنفعّل عقلنا الموهوب لنا من الله وندرك واقعنا جيداً بغير تهويل أو تهوين ونحسب النفقة قبل البناء، ونقيّم قدرة الخصم قبل الدخول في منافـــسة، وإلا فالأفضل أن نسعى للصلح ونبعث الوسطاء.

عن القلق الطبيعي

القلق الطيب، الذي ينم عن حسن التقدير والاستعداد لكل الاحتمالا يتميز أصحاب الهمم العالية الساعين إلى التميز فيما يعملون. وهو بالتالي ميزة كبيرة تخدم تقدم الشخص (خاصة لو كان قائداً في ميدانه) وتخدم بالتالي تقدم المجتمع كله. والنفوس التي لا تعرف هذا النوع من القلق تتعـــرض للانتقـــاد وتُتـــهم باللامبالاة والإهمال وسوء التقدير وغياب الإحساس بالمسئولية سواء كان طالباً أو موظفاً أو رب بيت أو مواطناً يُفترض أن يحب بلده.

---

(٢) بالطبع هناك القلق الناجم عن اضطراب نفسي مرضي وهذا علاجه عند الطبيب. كما أن هناك القلق الذي باعثه الطموح المادي والرغبة في الغنى أو الحرص على الممتلكات، أو الذي هـــو إفـــراز الخطية والشعور بالذنب (كما كان الحال مع آدم وقايين وشاول الملك ويهوذا الاسخريوطي)، فهذا القلق يكشف عن حياة تعاني الهزيمة وبعيدة عن الله وعلاجه التوبة، ولكنه على أي حـــال يتجـــاوز موضوعنا.

+ **والقلق** الطبيعي يختلف باختلاف الفئة العمرية. **فالطفل** يقلقه غياب والديه، **والزوج (أو الزوجة)** يقلقه تأخر رفيقه في الخارج، **والأم** يقلقها تأخر ابنها عن موعد عودته من مدرسته، **والطالب** يقلقه الامتحان أو اختيار الدراسة المناسبة أو معاملة بعض معلّميه أو زملائه، **والخريج** يقلقه الحصول على الوظيفة الملائمة ومساره في الحياة، وبعد توظفه قد يأتي القلق من رئيسه **في العمل** أو عند **اختيار الزوجة (أو الزوج)**، وبعده تأتي مسئولية **العائلة** وتربية الأولاد، ومع تقدم **السن** يكون القلق على الصحة ومستقبل الأولاد وتأمين الشيخوخة وغيره.

ولاشك أن أمانتنا في أداء الواجب بغير تراخ، واستثمار الوزنات التي حبانا بها الله، والثقة المطلقة فيه، يخفف كثيراً من قلقنا إزاء أمور الحياة اليومية مثل الامتحانات ونتائجها، أو المقابلات للحصول على عمل، أو للأعراض الصحية الغامضة، أو مع طول فترة المرض، أو قبل جراحة كبرى، أو مع الانتقال إلى عمل جديد، أو إلى بلد آخر، أو مع ما يصادف من نحب من مفاجآت أو آلام، أو مع هجرة الأولاد، أو مع غياب الأمن فتشغلنا سلامة من هم خارج البيت أو المدينة، أو إزاء إضطرابات الحياة في الوطن، أو غيره من المواجهات مع المجهول.

عن القلق الرديء

في كل هذا، فما دام الشخص قادراً على التحكم في عواطفه، واثقاً من القدرات التي أودعها الله فيه، متكلاً على إلهه طالباً مشورته وإرشاده في كل خطوة، ومسلّماً له كل المواقف بما لها وما عليها، فالحياة تسير في طبيعتها. أما لو صار **القلق** رهقاً وتعباً في كل الأمور، تافهها وهامُّها، فهذا يعني أن الإيمان يعاني من دخيل مزعج غير مرغوب فيه. والأمر من ثم يحتاج تدخلاً لإيقاف هذا التدهور الضار وتغيير نهج الحياة لحماية الإيمان.

عن دور المؤمن

هناك ظروف في التربية المبكرة يمكن أن تبث **القلق** منذ الطفولة أو أن تهب الطمأنينة وثبات القلب. فلا شك أن هدوء الوالدين أمام مصاعب الحياة، وعدم خضوعهما لنوازع القلق الرديء والتشاؤم، يضفي على البيت السلام ويحفظ صغاره من الاضطراب أيضاً. والعكس أيضاً صحيح، فقلق الوالدين مثل المرض المعدي الذي يصيب أولادهما ويغذي فيهم دوافع القلق والاكتئاب الذي قد يرافقهم كل الحياة، إن لم تنقذهم نعمة الله بتغيير نهج حياتهم واكتشاف عناية الله ومحبته وأمانته التي تستقطب من هم اتكالهم ورجاءهم فيه، وتنمى شخصياتهم وتزيد ثقتهم في أنفسهم، فيتأهلون لمواجهة الأتعاب بشجاعة.

+ مع تنبيه الله لنا ألا نهتم للغد (مت ٦:٣٤)، فإن **تأمين حياتنا الجسدية**، فيما يلي تقاعدنا عن العمل، بالاقتصاد والتوفير خلال السنين لا يعتبر حكمة مرفوضة. **فيوسف** بترتيب إلهي اختزن في أيام الرخاء ما أنقذ البلاد في أيام القحط (تك ٤١). والسيد امتدح **وكيل الظلم** لأنه تصرف بحكمة لتأمين حياته بعد أن يعفيه سيده من الوكالة (لو ١٦:٨). ولكن فيما نحن نفعّل حكمتنا وقوانا الفكرية التي وهبها الله لنا، ينبغي أن يكون طلب مشيئة الله سائداً لأنه "**ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر** (أهلك) **نفسه**" (مت ١٦:٢٦، مر ٨:٣٦، لو ٩:٢٥).

فالغني الذي لم يعمل حساب الله ونسى أنه لا يملك غده وصفه الرب بالغباء لأنه ظن أنه متحكم في مقاديره (لو ١٢:٢٠).

+ وعما يتعلق **بالقلق** من **الوحدة القادمة**، وتباعد الأولاد والأحفاد وإهمالهم المحتمل، وغياب الأصدقاء بالانشغال أو غيره، فعلاجه أن يوطّن المؤمن نفسه من الآن ألا يكون اتكاله أبداً على بشر وإنما على الله وحده الذي يقول "**ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه**" (إر ١٧:٥).

ومع انتعاش الإيمان والحياة الروحية بالصلاة والكلمة والتوبة والتناول يكون الشعور بحضور الله الدائم. وعلى كل الكبار، رجالاً ونساءً، أن يملأوا أوقاتهم بمعرفة كلمة الله ودوام دراستها، وبخدمة الله وشركة الكنيسة ومحبة الأصدقاء. وربما كان من محاسن التقاعد بعد سنوات العمل الطويلة هو توفر الوقت للتفرغ للخدمة وقراءة الكلمة والتثقيف والتعليم والتبشير والخروج إلى الطبيعة[٣].

+ مع تقدم الشيخوخة قد تتصاعد دوافع **القلق**. فهناك تحالف **الأمراض** مع **ضعف الجسد وتراجع الحواس وانخفاض الدخل** وربما التعرض للحاجة، ثم هذا **الموت** الذي يقترب مع كل يوم.

ولا شك أن الصحة ثروة ووزنة غالية ينبغي الحفاظ عليها ورعايتها. ولكن الضعف العام وتدهور الصحة بتقدم السن هو أمر طبيعي ينبغي قبوله والتعامل معه قدر المستطاع. نعم. المرض مذلة. فلنأخذ العلاج والدواء متطلعين إلى يد الله الشافية شاكرين على كل حال، وعلينا أن نعرف أن هذا الوهن مهما كان بطيئاً فهو إعلان أن هذا الجسد سيسلّم في النهاية إلى الفناء وأن أجساداً جديدة ستكون في انتظارنا مع السماء الجديدة والأرض الجديدة (رؤ٢١: ١).

+ المؤمن الحقيقي لا يهاب **الموت** لأن الرب قد داسه، وهو مستعد للقاء الرب في أية ساعة. وهو إن ظل حياً حتى مجيء الرب فسيتغير في لحظة ويُخطف على السحاب لينضم للموكب الإلهي مع صفوف المنتصرين، وإن كان جسده في القبر فسيقوم من رقاده جديداً منيراً ويلتحم مع نفسه القادمة بعد الانتظار ويدخل مع سائر المؤمنين القائمين إلى المجد (١كو١٥: ٥١، ٥٢، ١تس ٤: ١٤-١٧).

(٣) وإذا توفرت القوة والدخل الكافي فليكن التعرف على بلاد جديدة واكتشاف جمال خليقة الله وتنوعها مما لم يكن متاحاً خلال سنوات العمل.

القلق لا يستشرى إلا في حياة من يعيشون حسب الجسد وتسودهم النظرة المادية للحياة. فالخطية وانحراف القلب هما مصدر القلق والإضطراب من جهة المستقبل **"لا سلام قال الرب للأشرار"** (إش ٤٨:٢٢، ٥٧:٢١). ولا طريق هناك للخلاص غير التوبة والتحول بثقتنا نحو الله الذي يعتني بنا.

وإذا كنا لا نملك حياتنا ولا مستقبلنا، ولا صحتنا ولا قوتنا، ولا طعامنا ولا شرابنا، ولا هواء تنفسنا ولا نور صباحنا، كما أننا لا نستطيع أن نغلب الآلام أو التجارب وحدنا، فقلقنا على أمور المستقبل أو الآخرين يصبح غير ذي موضوع. أما إذا كنا نؤمن أن الله هو ضابط الكل وصانع الخيرات ورجاؤنا الوحيد والمحب الذي مات لأجل كل واحد (عب ٢:٩) فلنسلمه حياتنا إذاً ونتكل عليه ونختبر تدخله المبارك في كل أمورنا. فقلقنا هو إهدار لطاقتنا فيما لا طائل وراءه، وهو خروج عن جادة الإيمان والثقة في الرب الذي **"به نحيا ونتحرك ونوجد"** (أع ١٧:٢٨). والرب يساندنا بقوله المباشر **"لا تقلقوا"** (لو١٢:٢٩) وينادي الكل **"تعالوا إلي.. و أنا أريحكم"** (مت ١١:٢٨).

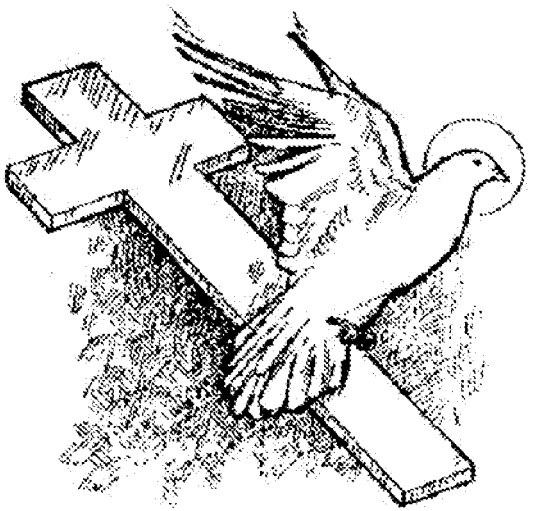

الشـــــك

الهم والقلق انفعالات سابقة أو مرافقة **للشك**، فمن يصيبه الهم ويـــستولي عليه القلق أمام ظروف الحياة الطارئة المختلفة أو لانحراف القلب وشـــحوب الإيمان، يمكن أن يخترقه **الشك** ويسود عليه الخوف عندما تدهمـــه المـــصاعب غافلاً عن رفقة الله.

+ ويورد الكتاب حادث سفينة التلاميذ وهي تتعذب وسط أمواج البحـــر العاتية والرياح العاصفة، وكيف جاءهم الرب لنجدتهم في الهزيع الرابع (بـــين الثالثة والسادسة صباحاً) ماشياً على الماء وأراد أن يتجاوزهم، فظنه التلاميـــذ خيالاً وصرخوا. أما هو فقال لهم بنبرة مشجعة **"أنا هو. لا تخافوا"**. فقال لـــه بطرس: يا سيد إن كنت أنت هو (أي المسيح) فمرني أن آتي إليك على المـــاء. فقال له: تعالى. وعلى كلمته نزل بطرس من السفينة ومشى بالفعل على الماء. ولكنه لما رأى الريح شديدة خاف (وكأن الرب غاب عن بصره) وارتـــد إلى واقعه. فأتّى له أن يسير على الماء؟ وإذا ابتدأ يغرق صرخ مستنجداً بالرب الذي أغاثه ومد له يده وأمسك به، ولكنه وبّخه قائلاً **"يا قليـــل الإيمـــان. لمـــاذا**

شككت؟" (مت١٤:٣١-٣٣، مر٦:٤٥-٥١، يو ٦:١٦-٢١).

وبهذه الكلمات يخاطب الرب كل مؤمن يتصرف مثل بطرس في الأوقات الصعبة، وكأنه دون أن يدري يلغي حضور المسيح ويسحب ثقته في وعوده، مشكّك في قدرته على الوقوف إلى جانبه وانقاذه من الضيق بحسب كلامه **"ادعني في وقت الضيق انقذك فتمجدني"** (مز٥٠:١٥). فالرب قادر على تهدئة الرياح وضبط حركة الأمواج. وعلى المؤمن الذي تهاوت ثقته أن يهرع إلى حضن الله تائباً نادماً على ما يشبه الخيانة.

+ وقد لا يدرك البعض أنهم يعانون **الشك**، فهم مؤمنون يصلّون ويصومون ومنتظمون في الذهاب إلى الكنيسة، ولكنهم إذا كان يلجأون إلى القوى الغيبية بأن يطلّعوا على حظّهم في الصحيفة اليومية أو يتابعوا أخبار الأبراج الفلكية[1]، أو يطلبوا قراءة الكف أو الطالع أو الفنجان، أو يذهبوا إلى من يستحضر الأرواح ويعمل السحر، ولو على سبيل اللهو، أو أن يتوجّسوا من الحسد، فهذا كله ليس مما يليق بالمؤمنين المحفوظين في يد الله، ويلقي بالشبهات على مدى ثقتهم في الله وقوته وعنايته، لأنهم عملياً يطرحون قيادة الله لحياتهم، ويتولون أمورهم بأيديهم اعتماداً على فكرهم وتصرفهم وحدهم أو التماساً لمعونة البشر.

وقد دان الله **الملك شاول** الذي راح متخفياً إلى امرأة صاحبة جان لكي تستدعي له روح النبي صموئيل الذي افتقد مشورته بعد نياحته. وسمح الله بالفعل لروح **صموئيل** أن تصعد على غير توقع المرأة حليفة الجان واشياطين، حتى إنها "صرخت بصوت عظيم"، وسمع شاول لوماً وحُكماً من روح

---

(١) حتى لو كان في موضوع الأبراج حقيقة ما، باعتبار أننا معرّضون للتأثيرات الكونية، التي تتغير بتغير مواضع النجوم بالنسبة للأرض، فهذا لا يهمنا. فنحن قد خُلقنا كما نحن وكل ما فينا هو من الله، ونحن لا نحتاج أن نسأل أحداً عن المصير القريب أو البعيد، لأننا مطمئنون إلى رعاية الله وعنايته في كل الأحوال.

صموئيل "**لماذا أقلقتني والرب قد فارقك وصار عـدوك**" (١صم٢٨: ١٥، ١٦).

وقد حرم الله كل هذه الضروب من الاتصال بالجان، أو التعامل مع المنجمين والسحرة، أو مع الدجالين الذي يعتمدون الخداع سبيلاً للعيش، لأننا في هذا كله نشارك الشياطين (لا ١٩: ٣١، ٢٠: ٦، ٢٧، تث ١٨: ١٠، ١١، إر٢٧: ٩)، وأعلن سوء مصيرهم (رؤ ٢١: ٨، ٢٢: ١٥). وبالتالي فطاعة المؤمن وخضوعه لوصية الله تقتضي ألا يقترب من هذه الأمور، فكلها من أعمال الجسد (غل ٥: ٢٠)، لأنها تطغي في إيمان المؤمن وثقته المطلقة في ضابط الكل.

+ **والشك** في تدخل الرب ومعونته وسط الضيقات يقارب بشكل ما من يستحون من الرب وقت الاضطهاد فينكرونه متهربين من تبعيته لينجوا من التكلفة العالية. لهؤلاء قال الرب "**من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات**" (مت ١٠: ٣٣) "**من يستحي بي وبكلامي يستحي به ابن الإنسان متى جاء بمجده**" (مر٨: ٣٨، لو ٩: ٣٦). فنحن **بالشك** في راعي نفوسنا نفقد شفاعته ونتخبط في دروب الحياة. ولكن أمانة الله الدائمة هي التي تجعله يمسك بأيدينا عندما نصرخ إليه ويخرجنا لجة اليأس والشك[٢].

+ والقديس يعقوب يحثنا عندما نصلي أن نطلب بإيمان غير مرتابين البتة "**لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب، رجل ذو رأيين هو متقلقل في جميع طرقه**" (يع ١: ٦-٨). **فالشك انسحاب من الإيمان وإهانة لله وقدرته.**

---

(٢) والرب في قوله "**طوبى لمن لا يعثُر في**" (لو ٧: ٢٣) امتدح من يقبلونه مخلصاً ويصدقونه ويثقون فيه، ويعني بالتالي أنه يؤاخذ من يعثرون فيه أي يشكّون في قدرته واضعين ثقتهم في أنفسهم أو في الناس.

الخـــوف

الخوف في أساسه غريزي تلقائي، ويهدف إلى حماية الحياة وتفادي الأخطار والتحفظ من ارتكاب الأخطاء وضبط الإنسان عن التهور والانـــدفاع ومـــا يتداعى عنهما من العواقب[1].

ولكن هذا **الخوف الغريزي** – في حدوده الطبيعية – لا يتحول ليصير جبناً وتخاذلاً، بل هو يظل يحفظ للإنسان السوي شجاعته وإقدامه ومخاطرته إذا دعا الداعي، فيقف إلى جانب الحق ورفع الظلم ولو بقى وحده، ويقدم العون لمـــن يستنجد به، بل ويبادر إلى الإنقاذ مضحياً بحياته إن اقتضى الأمـــر. وبعـــض الأعمال تتطلب طبيعتها البسالة والإقدام ونجدة الملهوف كالـــشرطي ورجـــل الإطفاء والإنقاذ الذي يغامر بنفسه في سبيل الواجب، والجندي المحارب الذي قد يضحي بحياته دفاعاً عن الوطن إذا تعرض للعدوان. وإذا كان كثيرون مـــن هؤلاء الشجعان هم من غير المؤمنين، فبالأولى أن يكون المؤمن، الذي بحـــسب

---

(١) على أن الكتاب يستعمل أحياناً كلمة **الخوف** بمعنى الاحترام الزائد مع الاتضاع **"أيهـــا العبيـــد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح"** (أف ٦:٥).

إيمانه المسيحي لا يهاب الموت، متأهباً شجاعاً حتى ولو قضى شهيداً مثل آبائه الشهداء على مر العصور.

ونحن نلتزم بالقوانين ونحترمها ونطيعها، ونسدد الضرائب دون تهرب، بسبب **الأمانة** وحدها، وتمجيداً لله في العالم، وليس **خوفاً** من العواقب. وإن كان البعض يلتزم خشية العقوبة فلا بأس في ذلك، فالعقوبة تدفع الشخص للإلتزام وهذا لصالحه ولخير المجتمع ككل. فالخوف هنا إيجابي وخير من التمرد والتجاوز والتحدي كأنه نوع من البطولة والانتصار على القوانين، وهو ليس كذلك. فالسلطان معيّن من الله ضد فاعلي الشر **"لذلك يلزم أن يُخضع له ليس بسبب الغضب** (خوفاً من العقوبة) **بل أيضاً بسبب الضمير** (المسيحي) **... فأعطوا الجميع حقوقهم. الخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام"** (رو ١٣: ١-٧).

ومن **التخوف المقبول** هذا التحفّظ من الإساءة إلى الآخرين أو إفشاء الأسرار، فليست شجاعة أو جرأة أن يحدث العكس. والحذر والخشية هنا أفضل من التهور والتردي فيما هو خطر صريح يهدد الحياة دون هدف نبيل يحققه.

ولكن الإيمان يحصر **الخوف** في نطاقه الطبيعي، ويجعله التزاماً وحذراً لا رعباً يجمد الحياة. ففي الأعماق إحساس بحضور الله وثقة في رعايته وتسليم النفس والمستقبل والآمال وكل الممتلكات له دون تحفظ، بما يضفي على المؤمن الذي يؤدي ما عليه سلاماً فائقاً لا يقدر العالم أو التجارب أو الاضطهاد والتهديد أو مفاجآت الزمان العنيفة أن تنتزعه، وتسانده هنا وعود الله وقوته المطلقة.

لا للخوف الرديء

والكتاب ينهى عن **الخوف الرديء** الذي هو غريب عن حياة المؤمن. والرب وعد أن يكون معنا كل الأيام (مت ٢٨: ٢٠)، كما أنه وهبنا سلاماً فريداً لا يقدر العالم أن يعطيه (يو١٤: ٢٧). وهذه وصاياه ألا نخاف، ووعوده

برفقته لنا أمام العدو:

"**لا تخف لأني معك وأباركك**" (تك ٢٦:٢٤ – وعد الله **لإسحق**، إش ٤١:١٠، ٤٣:٥– وعد الله لإسرائيل في السبي)؛

"**لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك... تشدد وتشجع. لا ترهب ولا ترتعب. لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب**" (يش ١:٥، ٩، ١:٨) [وعد الرب **ليشوع** القائد الشاب لشعب إسرائيل بعد موت موسى]؛

"**لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر، بل أريكم ممن تخافون. خافوا من الذي بعدما يقتل له سلطان أن يلقي في جهنم**" (مت ١٠:٢٨، لو ١٢:٥) [من حديث الرب **للاثنى عشر**]؛

"**لا تخف. آمن فقط**" (مر ٥:٣٦، لو ١٨:٥٠) [قول الرب **لايرس** رئيس المجمع الذي ماتت ابنته]؛

"**لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم سُر أن يعطيكم الملكوت**" (لو ١٢:٣٢) [وعد الرب **لتلاميذه** مشجعاً]؛

"**لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي**" (يو ١٤:١) [الرب يعزّي **تلاميذه** وهو يتركهم في طريقه إلى الصليب]؛

"**لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك**" (أع ١٨:٩، ١٠) [الرب في رؤيا يشجع **الرسول بولس** على الصمود في كرازته لأهل كورنثوس وعدم تركها بسبب اليهود المقاومين، وهو ما شدّد قلب الرسول]؛

"**لا تخف. أنا هو الأول والآخر**" (رؤ ١:١٧) [الرب في رؤيا يخاطب تلميذه الأسير **يوحنا** في منفاه بجزيرة بطمس]؛

"**لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به**" (رؤ ٢: ١٠) [رسالة الرب إلى ملاك كنيسة أفسس، وإلى كل خادم]؛

والقديس بطرس يحذر المؤمنين "**وأما خوفهم** (الخوف منهم أو مثل خوفهم) **فلا تخافوه ولا تضطربوا**" (١بط ٣: ١٤)؛

والقديس بولس يؤكد أن المؤمنين لم يأخذوا "**روح العبودية للخوف**" (رو ٨: ١٥).

+ والرب سبق فأنبأنا بما سيأتي علينا وكيف يدافع الروح القدس عنا في المحن "**ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب... فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تُعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم**" (مت ١٠: ١٦، ١٩، ٢٠، مر ١٣: ١١، ١٢، لو ٢١: ١٢-١٤).

والمسيحي الحقيقي في مثل هذه المواقف يصير بطلاً أسطورياً لأنه لا يتكلم من نفسه بل روح الآب يتكلم فيه. ومن يستطيع أن يقف أمامه[٢]!!

+ وقد اختبر **داود النبي** حياة تعالت على الخوف منذ شبابه الباكر. فهو وقف متجاسراً بغير وجل أمام جليات، الذي كان يعيّر صفوف جيش إسرائيل، قائلاً له: "**أنت تأتي إلي بسيف ورمح وبترس وأنا آتي إليك باسم رب الجنود... في هذا اليوم يحبسك الرب في يدي**" (١صم ١٧: ٤٥، ٤٦).

---

(٢) ما يدّعيه المتعصبون كارهو المسيح أن أولاده جبناء، تكذّبه الأحداث. وقد رأينا خلال مذبحة ٢٠١١/١٠/٩ شاباً مسيحياً يتعرض للاعتداء فيسقط على الأرض والدماء تغطي وجهه وتسيل من جراح جسمه لكنه يتحامل على نفسه ليهتف بصوت أراده عالياً "**لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح**" (في ١: ٢١). هذه قوة من فوق. وفي السجون الآن مئات من الشباب المسيحي من أجل المسيح وفي آذانهم يرن صوته لهم مطمئناً "**لا تهتموا... لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به**". وفي إيران يواجه من يقبلون المسيح حكم الإعدام. وآخرهم الأب يوسف نزارخاني (٣٤ عام) الذي آمن قبل ١٥ سنة!

وتحفل **مزامير داود** بثقته غير المحدودة في إلهه بما ينتزع من قلبه كل خوف مهما كان الأمر:

"إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي" (مز ٢٣: ٤)؛

"الرب نوري وخلاصي ممن أخاف. الرب حصن حياتي ممن أرتعب.. إن نزل على جيش لا يخاف قلبي وإن قامت علي حرب ففي ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧: ١، ٣).

+ وواجه **موسى** وشعب إسرائيل نفس التجربة، وبينما أصاب الشعب الفزع وخافوا العواقب، كان موسى واثقاً في إلهه ولم يعرف الخوف طريقاً إلى قلبه، وقال لهم **"قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم.. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون"** (خر١٤: ١٣، ١٤).

كما أن جحزي ارتعب أمام جيش آرام على عكس معلمه **إليشع** الذي امتلأ قلبه باليقين وقال له **"لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم"** (٢مل ٦: ١٦).

+ **الإيمان والخوف ضدان**، وكل منهما يستبعد الآخر. فالإيمان هو في ذاته مغامرة شُجاعة وسير على الماء طاعة للسيد، بينما الخوف يثبّط ويعطل ويعوق ويؤجل ويسوّف ويتهرب ولا يواجه، بل قد ينكر الإيمان (فضلاً عن تأثيراته السلبية على أداء أجهزة الجسم الحيوية وما يؤدي إليه من الاضطرابات النفسية خاصة في الأطفال) [٣].

نعم. **الخوف عدو**. وهو يُفقد الخائف الفرص ويمنع نجاحه ويقيّد مواهبه

---

(٣) الطب النفسي قد يساعد من يعانون من الخوف المرضي (الظلام، الأماكن المرتفعة، مواجهة الناس، المرض، الامتحان..الخ)، ولكن العمل الإلهي كامل وحاسم في انقاذ الناس من الخوف بشتى أنواعه، وقادر على استئصال أخبث ضروب الخوف وهو خوف الموت.

ويعطل مشاركته في المجتمع، ويجعله متردداً سلبياً معزولاً ويحرمه أن يكون مثمراً خادماً لمن حوله. الخائف حبة حنطة تكلّست وبقيت وحدها، أما المؤمن، الذي اكتشف قدراته الموهوبة له من الله وبذل نفسه وغاص وسط الناس خادماً للكل، فهو حبة حنطة حية دُفنت في الأرض ولما ماتت (أي تغيرت وخرجت من ذاتها) نمت وكبرت وأتت بثمر كثير (يو ١٢:٢٤). والمؤمن عبد أمين، تاجَر بوزنته وربح، أما الخائف فلم يغامر ودفن وزنته في الأرض، ويصفه الكتاب بالعبد الشرير والكسلان (مت ٢٥:٢٥، لو ١٩:٢٦).

+ المؤمن الحقيقي لا يخاف المستقبل أو المجهول، ولا يتوجس من تجارب آتية، وبالأوْلَى لا يخاف من إعلان إيمانه والشهادة للمخلص، وقول الحق ولو ضد نفسه، ولا يتهرب من مساندة المظلوم لأنه في الأساس لا يخاف الموت أو المصير، الأمر الذي يؤرّق غير المؤمنين، لأنه وضع نفسه ومآله بين يدي مخلصه المحب والمحبوب، ولأن الأمر يتعلق في المقام الأول بأمانة الله "**الذي يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه**" (٢تي ٢:١٣) قبل أن يعتمد على أمانته هو، ونعمة الله هي الضامنة لحفظه مقدساً في الرب كل الحياة والتمسك بتبعيته ومساندة توبته إن تعثّر بالضعف.

عن الخوف الرديء

الخوف الخاطيء لا يجد منفذاً إلى حياة المؤمن إلا من خلال انحراف قلبه وزلله وكسره للوصية فيتهرب من الله ويداخله الخوف منه [كما حدث مع **آدم** بعد عصيانه (تك ٣:١٠) **وقايين** بعد جريمته (تك ٤:١٣) **وداود** بعد سقطته (مز ٥١:٤، ٥)]، أو إذ يضعف فيخشى البشر [كخوف **يعقوب** من **عيسو** بعد أن أخذ منه البكورية وبركة أبيه اسحق (تك٣٢:٧)، وخوف **إخوة يوسف منه لئلا ينتقم منهم** (تك ٤٥:٣)]، أو قد يخاف افتضاح أمره بين الناس [مثل **فيلكس** الذي ارتعب عند سماعه **القديس بولس** يتكلم عن البر

والدينونة العتيدة (أع٢٤:٢٥)]، أو يخشى من فقدان استقراره وسعادته، أو من ضياع ماله وممتلكاته، أو يرتاب في مصيره. والخوف من الموت هو قمة الخوف وأكثر ألوان الخوف انتشاراً. ومكتوب أن الرب جاء كي **"يعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية"** (عب ٢:١٥).

وقد حكم الله على الخائفين مثلهم مثل القتلة والزناة **"وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني"** (رؤ ٢١:٨).

عن مخافة الله

ولكن هناك أيضاً **مخافة الله** والخشوع أمامه، والذي يحمل في طياته الإحساس بالفارق الهائل بين السيد والعبد والخالق والمخلوق، وهو ما اختبره **يعقوب** عند رؤيا السلم المنصوب حتى السماء وعليه الملائكة فهتف **"ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء"** (تك ٢٨:١٧). ومثله **موسى** عند رؤية العليقة المتقدة بالنار (خر ٣:٦)، **ويوحنا** عندما تواجه مع الرب في جزيرة بطمس وسقط على الأرض كميت (رؤ ١:١٧) وسجّل ترنيمة الغالبين في السماء **"من لا يخافك يارب ويمجد اسمك لأنك وحدك قدوس لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك لأن أحكامك قد أظهرت"** (رؤ ١٥:٤)؛

وأيضاً الخوف وقت الصلاة أو الإحساس بحضور الله في الكنيسة:

"اعبدوا الرب بخوف" (مز ٢:١١) **"أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك"** (مز ٥:٧)؛

والخوف عند اختبار التدخل الإلهي المعجزي :

"فأخذت الجميع حيرة ومجدوا الله وامتلأوا خوفاً قائلين إننا قد رأينا اليوم عجائب" (لو٥:٢٦) [بعد شفاء المفلوج]؛

"**فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه**" (لو٧:١٦) [عند إقامة ابن الأرملة]؛

"**وصار خوف في كل نفس. وكانت آيات وعجائب كثيرة تُجرى على أيدي الرسل**" (أع٢:٤٣)؛

"**فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة**" (أع ٥:١١) [بعد عقاب حنانيا وسفيرة].

والكتاب يقول أن **مخافة الرب هي رأس الحكمة** وعين المعرفة (مز ١١١:١٠، أم١:٧) وهي التي تحفظنا مقدسين بنعمته. ومن لا يخاف الله يتجبّر ويتعالى ويستبد وفي النهاية يكون سقوطه عظيماً.

ويحثنا الكتاب أن "**سيروا زمان غربتكم بخوف**" (١بط ١:١٧) و"**تمموا خلاصكم بخوف ورعدة**" (في ٢:١٢) بمعنى التمسك بالخلاص الثمين والتحفظ والحذر من النكوص.

ومثل هؤلاء الخائفين خشوعاً وتوقيراً هم موضع رعاية الرب وحمايته "**كما يترأّف الرب على البنين يترأّف الرب على خائفيه**" (مز ١٠٣:١٣) "**ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه وينجيهم**" (مز ٣٤:٧) "**عين الرب على خائفيه**" (مز ٣٣:١٨)، ويتمتعون بخلاصه ونصرته "**إن كان الله معنا فمن علينا**" (رو ٨:١٣) "**خلاصه قريب من خائفيه**" (مز ٨٥:٩)، وتغمرهم رحمته "**قويت رحمته على خائفيه**" (مز ١٠٣:١١)، ويكشف لهم أسرار ملكوته "**سر الرب لخائفيه**" (مز ٢٥:١٤).

خوف المؤمن من الله مع هذا يخلو من الإرتعاب والفزع لأنه نور ولأن ثقتنا في محبته لا تتزعزع "**خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد**" (مز ١٩:٩)، ومن هنا فهو يختلط بالحب "**المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج**" (١يو ٤:١٨). وكلما نمت القداسة وذاب المؤمن في الله لا يبقى غير الحب وتنحسر حتى

المخافة كقول **القديس أنطونيوس** أنه لا يخاف الله لأنه يحبه والمحبة تطرح الخوف تماماً من القلب.

+ قد يحتاج الأمر إثارة الخوف من دينونة الله في قلوب البعض من اللاهين المغرقين في خطاياهم، الذين لا يعبأون بآخرتهم، أو يبالوا بالنصح والتعليم. فيصير الخوف هنا منقذاً لهم من الموت بحسب ما كتب معلمنا يهوذا "**خلصوا البعض بالخوف** (من الله والمصير الأليم) **مختطفين من النار**" (يه ٢٣).

كما أن **القديس بولس** يحث **الأسقف تيموثاوس** وكل الرعاة على مواجهة الخطاة المعاندين وتوبيخهم علناً لكي يكون هناك خوف (من الله) فيرتدع الآخرون ولا يتجاسروا أن يخطئوا بغير مبالاة "**الذين يخطئون وبّخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف**" (١تي ٥: ٢٠).

" **عين الرب على خائفيه** " (مز ٣٣: ١٨)

حـــزن العالـــم

+ عن حزن الموت
+ الحزن المقدس
+ الحزن الرديء

عن حزن الموت

الحزن في أساسه عاطفة إنسانية نبيلة أودعها الله في البشر يعبّرون بها عن انفعالاتهم بما يقابلهم في حياتهم القاصرة من آلام أو إحباط أو فشل، أو ما يقعون فيه من أخطاء، وبه يشاركون غيرهم ما يجتازونه من محن وأشجان – كما يقاسمونهم أفراحهم – إعلاناً عن إنسانية الإنسان وأخوّة كل البشر أبناء أب واحد وأم واحدة.

وعلى العكس، فالتبلّد والتجاهل وأسوأ منه احتقار آلام الآخرين – لأي سبب مهما كان – مشاعر لاإنسانية تكشف عن أنانية وجمود وانحطاط مهين وسقوط من نعمة الله.

ومكتوب أنه حتى خالق الكون لما رأى **"أن شر الإنسان قد كثر في الأرض** (قبل الطوفان) **وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، حزن.. أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه"** (تك ٦: ٥، ٦) أي حزن بسبب ما آل إليه الإنسان والموت الذي صار نصيبه.

والحزن الطبيعي، وما قد يصاحبه في شدته من دموع أو نحيب ونواح[1]، يحرر الإنسان من ضغوط اللحظة ويعينه على عبورها، كي يأتي بعدها التعامل بعقلانية مع الأمر المسبب للحزن، وكيف تتم معالجته أو تلافي آثاره والتغلب عليه، أو قبوله وتجاوزه والتسليم بإرادة الله والبدء من جديد.

ويمكن القول إن بعض الحزن مطلوب لإضفاء الجدية والتأهب لمواجهة مصاعب الحياة. الإغراق في الفرح والضحك والميل الزائد للمرح والسمر يؤدي إلى التراخي ويُفقد النفس قدرتها على التعامل مع المفاجآت. وفي سفر الجامعة "**الحزن خير من الضحك لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب. قلب الحكماء في بيت النوح وقلب الجهال في بيت الفرح** (العالمي)" (جا٧:٣، ٤).

ربما كان أقسى ألوان الحزن الطبيعي هو **الحزن أمام الموت** أو أمام المواقف الصعبة أو المؤلمة. والرب اقترب بمشاعره من المتألمين. ومكتوب أنه **بكى** أمام قبر لعازر (يو١١:٣٥)، بل إنه **بكى** على أورشليم التي تقترب من خرابها لأنها لم تعرف زمان افتقادها (لو ١٩:٤١-٤٤). والتلاميذ **حزنوا** عندما أخبرهم الرب عن موته "قال لهم يسوع: ابن الإنسان سوف يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم. **فحزنوا جداً**" (مت ١٧:٢٣). كما **حزنوا** عندما سمعوا من الرب أن واحداً منهم سيسلمه (مت ٢٦:٢٢، مر ١٤:١٩). والرب لم يعتبر حزنهم ضعفاً وخطأ بل إنه تنبأ عنه عارفاً أنهم كأحباء سيصدمهم تألمه وموته "أنتم **ستبكون وتنوحون**.. أنتم **ستحزنون** ولكن **حزنكم** يتحول إلى فرح (بقيامته)" (يو ١٦:٢٠)؛ [وإلى أن جاءتهم المجدلية

---

(١) وكثير من آيات الكتاب تشير إلى الحزن والنواح عند الموت: "وهي **تنوح** على ميت" (٢صم ١٤:٢)؛ "كمن **ينوح** على أمه انحنيت حزيناً" (حز ٣٥:١٤)؛ "فينظرون إلى الذي طعنوه (الرب) **وينوحون عليه كنائح** على وحيد له ويكونون في مرارة عليه كمن هو في مرارة على بكره" (زك ١٢:١٠، رؤ ١:٧).

ببشارة القيامة كان التلاميذ "**ينوحون ويبكون**" (مر١٦: ١٠)].

والرب نفسه، وهو في جثسيماني ويقترب من الصليب ليحمل خطايا كل البشر، **حزن جداً** ولم يُخف حزنه عن تلاميذه: "أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ **يحزن ويكتئب** (جسدياً)" (مت٢٦: ٣٧، ٣٨) "فقال لهم نفسي (الناسوتية) **حزينة جداً حتى الموت**. امكثوا هنا واسهروا معي" (مر ١٤: ٣٤). ويذكر الكتاب أنه لما سار المسيح حاملاً صليبه في طريق الموت فإن كثيرين من الشعب والنسوة الذين تبعوه كن يلطمن أيضاً **وينحن عليه** (لو ٢٣: ٢٥).

+ مع هذا فإن حزن المسيحي (خاصة أمام الموت) ليس مطلقاً، هو فقط تعبير عاطفي إنساني ولكن في أعماق القلب رجاء يعزي ويضمد الجراح "**لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم...**" (١تس ٤: ١٣). فيقين القيامة يجرد حزن المسيحي من اليأس والضياع، فتبقى الدموع في المآقي ومعها خفقات القلب الكسير، ولكن يظل الإيمان والرجاء ساكنين في منطقة السلام الحصينة التي لا يقترب منها روح الحزن.

والصلاة على الراقدين هي رد الكنيسة على واقع الموت، وهي نعمة إلهية تنتزع المحزونين مما هم فيه وتضعهم في مواجهة الرب القائم من الموت ووعده "**إني حي فأنتم ستحيون**" (يو ١٤: ١٩). والمسيحي المؤمن رغم كل شيء (ورغم هول المأساة أحياناً) حريص ألا يترك نفسه فريسة لحزن الموت، بل إنه سريعاً يرفع قلبه إلى فوق حيث ينال العزاء ممن قال: "**وكإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا**" (إش ٦٦: ١٣) والمكتوب عنه "**لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها**" (إش ٥٣: ٤).

ولقد يقال لكل من يثقل الحزن كاهله، لأن الموت قد طوى من يحب ولن يراه إلا في الأبدية، أن يقبل هذا الحزن العاطفي وأن يدعه يعبر، فهو يولد كبيراً هائلاً ولكنه يصغر ويخفت على مدى الأيام ليتحول إلى ذكرى طيبة تثري الحياة.

الحزن المقدس

ولكن الكتاب يبارك على أنواع من **الحزن المقدس** حافلة بالرجاء وكلـــها تؤدي إلى الخير، وعين الله وقلبه على أصحابها يعزّيهم ويدافع عنهم. ولنذكر أن الدموع هي قرينة الصلاة الحارة والصوم والتوبة.

+ وفي المقدمة نعرف **الحزن بسبب التجارب** :

"كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيهم الرب. يحفظ جميع عظامـــه وواحد منها لا ينكسر" (مز ٣٤:١٩، ٢٠).

"مع أنكم الآن إن كان يجب تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم.. توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح" (١بط ١:٦، ٧).

+ ثم يأتي **الحزن بسبب الاضطهاد والظلم والتمييز** :

"لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألمـــاً بالظلم" (١بط٢:١٩)؛ **"مضطهدين ولكن غير متروكين"** (٢كو ٤:٩).

"لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيّ. ارتجي الله لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه (خلاص وجهي وإلهي)" (مز ٤٢:٥، ١١).

+ والحزن بسبب مقاومة الكرازة وتعثر الخدمة :

"لأني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة لا لكي تحزنوا...." (٢كو٢:٤).

"مكتئبين في كل شيء (بسبب متاعب الخدمة) **ولكن غير متضايقين** (نقبلها راضين)" (٢كو ٤:٨).

+ على أنه، بين ألوان الحزن المقدس، يبرز **حزن التوبة** ودموعها، الذي يقود إلى التطهير والعودة إلى الله، وتحث عليه كلمة الله. وهو يستثير تحنن قلب الله حتى أن الكتاب يقول **"حولي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني"** (نش ٦:٥). وهذا الحزن – ويا للمفارقة – يثير الفرح في الأرض وفي السماء:

"ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح، ومزّقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر" (يؤ ٢:١٢، ١٣)؛

"اكتئبوا ونوحوا وابكوا. ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم. اتضعوا قدام الله فيرفعكم" (يع ٤:٩، ١٠)؛

"كحزانى ونحن دائماً فرحون (برفقة الله ووعوده والرجوع إليه)" (٢كو ٦:٣).

والقديس بولس يكتب إلى أهل كورنثوس (الذين حزنوا إثر رسالة سابقة بكتتهم فتابوا) أنه فرح برغم حزنهم **"لأنكم حزنتم للتوبة"**. فهذا حزن مقبول لأنه حسب مشيئة الله، ومن هنا فهو **"ينشيء توبة لخلاص بلا ندامة. وأما حزن العالم فينشيء موتاً"** وهذا الحزن المقدس الفعال يحرك القلب **"كم أنشأ**

فيكم من الاجتهاد بل من الإحتجاج بل من الغيظ بل من الخوف بل من الشوق بل من الغيرة بل من الانتقام (من الشر)" (٢كو ٧:٩-١١).

هذا الحزن النبيل مفيد للنفس، فهو يؤدي إلى الغضب على الخطأ والانحراف، ويدفع النفس إلى المراجعة والتغيير والتوبة. ولنقبل هذا الحزن ونتمسك به، ولنسمح لعيوننا أن تبكي فهذه الدموع غالية لأنها تغسل وتطهر.

+ وهناك أيضاً الحزن الذي نشارك به المتألمين فنخفف عنهم **"بكاء مع الباكين"** (رو١٢:١٥)، ومثله الحزن على انحراف البعض وسقوطهم الذي يدفع إلى كرازتهم لانقاذهم من الموت **"من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا"** (يع ٥:٢٠).

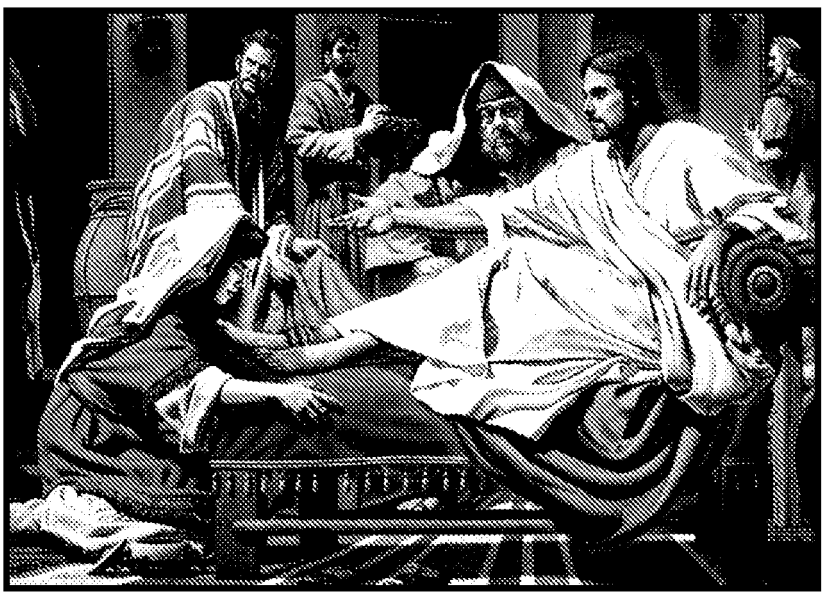

"وقفت عند قدميه من ورائه باكية... ثم قال لها مغفورة لك خطاياك"
(لو ٧:٢٨، ٤٨)

الحزن الرديء

على أن هناك من الحزن وكآبة القلب ما هو ضد الإيمان بصورة مباشرة ولا يمكن الدفاع عنه أو قبوله. وهو إن دخل قلب مؤمن فهذا يعني طعناً في صدق إيمانه، وتشوهه باهتمامات العالم التي لا يمكن أن تصنع خيراً. ولابد من فحص النفس بصورة دائمة فإن وُجدت علاماته فلا بديل عن طرده من حياة كل مؤمن. وهذا الحزن هو ما يصفه الكتاب أنه "**حسب مشيئة العالم**" ويلازمه الغم والضيق، وأن عاقبته رديئة ولا نفع من ورائه "**ينشيء موتاً**" (٢كو ٧:١٠).

فالشاب الغني جاء إلى الرب تسبقه عاطفته، ولكنه اصطدم بحجم النفقة التي عليه أن يبذلها. فالرب طلب إليه أن "**بع كل مالك... وتعال اتبعني. فلما سمع ذلك حزن لأنه كان غنياً جداً (اغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة)**" (مت ١٩:٢١، ٢٢، مر ١٠:٢١، ٢٢، لو ١٨:٢٢، ٢٣) فكان حزنه عقبة خلاصه.

+ وإذا كان العالم وراء حزن الإنسان فإن الخطية هي أيضاً تحزن روح الله **"ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء"** (أف ٤: ٣٠).

+ من أمثلة **"حزن العالم"** الحزن الناجم عن الخسائر المادية وأمور الجسد الميتة، أو عن الشعور بالنقص وتواضع القدرات، أو الفشل أو تحطم الآمال، أو خيانة الأصدقاء[١]، أو المرض أو اقتراب الموت. وهو حزن لا يفيد، خالٍ من الرجاء ولا يخلّف غير الإحباط والاكتئاب واليأس والنكد والغضب، ويتحتم ألا يُسمح ببقائه وسيطرته إلا في أضيق الحدود قبل طرده واستبعاده.

عندما تنبأ أغابوس عن مصير بولس وتقييده وتسليمه إلى الأمم مما أثار حزن من حوله وبكاءهم، صاح فيهم بولس منتهراً **"تبكون وتكسرون قلبي. لأني مستعد ليس أن أُربط فقط** (بالقيود) **بل أن أموت أيضاً في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع"** (أع ٢١: ١٣). هكذا يكون توجّه المؤمن الحقيقي.

+ في الثقافة الشعبية المصرية (من أزمنة القهر الطويلة) ميل للحزن والاكتئاب والتوجس من الفرح إذا جاء، حتى أن البعض بعد الضحك الكثير يتوقف ليقول "اللهم اجعله خيراً"، فهو يتطير متخوّفاً أن ينقلب الفرح غماً! وهو اتجاه يناوىء روح المسيح. فالإيمان المسيحي يفتح باباً متسعاً للفرح والسلام والطمأنينة ويطرد الحزن بعيداً. المسيحي ممتليء بالرجاء في المسيح ووعوده، وبالتالي فهو أقرب إلى التفاؤل وتوقع الخير حتى من ثنايا الضيقة **"ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله"** (رو ٨: ٢٨).

---

(١) الإيمان قادر على معالجة هذه المشاعر السلبية. فالمؤمن الحقيقي راض بما وهبه الله من إمكانات قليلة أو كثيرة، وهو يقبل نفسه كما هي، والرب افتقر واحتاج وهو الغني لكي يهب الكرامة لكل الفقراء والمهمّشين (٢كو ٨: ٩). وربما لو نظر أصحاب القليل إلى أصحاب الأقل لما كفوا عن شكر الله. ولمن خاب أملهم في أصدقائهم أو رفاق حياتهم فليسلّموا بضعف البشر دون أن ييئسوا، فهم بهذا يشاركون الرب الذي سبق وخانه بعض تلاميذه، وعليهم أن يتعلموا من دروس الحياة فيشتد عودهم الروحي لمواجهة الأتعاب الأشد وهي لابد آتية.

+ قد يعاني بعض كبار السن الحزن والاكتئاب بانشغال الآخرين عنهم وفقدان الأصدقاء الذين يرحلون تباعاً، وربما أيضاً بسبب عقوق أولادهم وإهمالهم لهم أو هجرهم. يضاف إلى ذلك في أكثر الأحوال عجزهم عن الخروج والحركة بتداعيات الشيخوخة، فلا يبقى لهم غير السكون والصمت واجترار الذكريات طيّبها وسيّئها. مع هذا ينجح الكثيرون في اختبار حضور الرب الدائم معهم فهو الصديق الألزق من الأخ (أم ١٨:٢٤). وقد يكون الحل الأجدى للبعض ممن يعانون ثقل العزلة والعجز هو الانتقال إلى أحد بيوت المسنّين. وشكر الله واجبٌ هنا أنه دبّر مثل هذه الرعاية في أحضان الكنائس ليكون المؤمن (أو المؤمنة) مع الرب كل حين (١تس ٤:١٧). وربما أتاحت الإقامة في مثل هذه الأماكن صحبة طيبة تعوض غياب الأهل والأصدقاء، وتوفر لهم أوقاتاً سعيدة تزيل عنهم الكآبة، فضلاً عن الرعاية الطبية المنتظمة التي يحتاجها الجميع في السن المتقدم.

+ يبقى أن بعض من يميلون إلى الحزن ورثوه من عهد الطفولة بحسب التربية وجو العائلة الملبد بالكآبة والتشاؤم، بسبب غيابها عن المسيح وكلمته، وسيادة الاختلاف والنكد وندرة اختبار الفرح. عندما نرى طفلاً مبتهجاً مبتسماً دائماً مقبلاً على الناس في مودة، ولا يفزع ممن لا يعرف، فهذا ينم على نشأته في جو من التفاهم والألفة والتفاؤل والسعادة، وهو ما انعكس عليه وأضفى عليه إشراقته المحببة. فبعض اضطرابات النفس وانحرافاتها تعود بداياتها إلى التربية الأولى وجو الأسرة قبل أي أمر آخر. هذا يلقي بمسئولية على الوالدين والمربّين أن يتيحوا لأولادهم كل ما يحميهم من الانحرافات ويوفر لهم حسن النشأة.

ولكن شكراً لله أن النعمة الموهوبة لنا بالإيمان قادرة أن تشفي النفس من كل أمراضها، حتى تلك التي آلت إليها بالوراثة، بل وتعالج كل نقائص

الشخصية مع حماية مكوناتها. فالمبادر الجسور تُبقى على شجاعته ولكن تحفظه من الاندفاع والتهور، والميال للوحدة والتأمل تُجنّبه الانطواء والتقوقع والتهرب من المواجهة، والجاد تحفظه من القسوة، والمِرح تحفظه من التسيب والاستهتار، والاجتماعي تحميه من إهمال روحياته، والقيادي تحفظه من الكبرياء والتسلط، والمغلوب من الحزن تجرد أسبابه من أمور العالم الميتة وتجعله دافعاً للتوبة وحافزاً للتغيير إلى الأفضل، وميلاً لمشاركة الحزانى والمتألمين واقتسام همومهم معهم.

+ دوام الاتصال بالله صلاة وصوماً ولهجاً في كلمته يحفظ المؤمن من الحزن الرديء والكآبة والغم ويديم على القلب سلامه ويقينه. ومراجعة مواقف الله السابقة مع المؤمن في ضيقاته تسنده في التجارب الآتية وتحميه من أن تقتحم الأحزان قلبه **"فانزع الغم من قلبك"** (جا ١١: ١٠) **".. ولا تنسى كل حسناته"** (مز ١٠٣: ٢).

ولنتعلم أن نشكر في كل حين فننجو من ثقل الحزن. عندما نقبل ما يسمح به الله بالشكر، بغير تذمر أو شكوى، فنحن نقطع الطريق على إبليس الذي يريد أن يغرقنا في الأحزان **".. لا تعطوا إبليس مكاناً"** (أف ٤: ٢٧).

إن لم تستطع أن تحبس الدموع، لا يهم. فلتبك دموعاً، ولكن لا تسمح للضعف أو اليأس أن يدخل قلبك. فالله هناك.. وليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يع ١: ١٧) **"ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب"** (مز ٢٧: ١٤).

❁ ❁ ❁

سيبقى الحزن، بكل ألوانه، مرتبطاً بالعالم الحاضر ولكنه سينحسر ويتبدد في الأبدية **"وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت"** (رؤ ٢١: ٤).

" **يا ابني اعطني قلبك** " (أم ٢٣:٢٦)

غلاظة القلب وقساوته

+ عن قلب المؤمن
+ الكتاب وغلاظة القلب
+ المؤمن وغلاظة القلب

عن قلب المؤمن

معرفة الله تغير القلب والمشاعر. فقسوة قلب الخاطيء وغباؤه الروحي (غل ٣:٣) وعناده ورفضه للحق يتحوّل بعد قبوله الإيمان إلى قلب نابض بالمحبة، ونفس تنجذب إلى الروحيات، وتحب الحق وتتبيّنه، وتشفق على الغير، وتتذكر دوماً أعمال الله معها، فتباركه ولا تنسى كل حسناته (مز ١٠٣:٢).

والتحول نحو الله وتبعيته يرمز إليه الكتاب بتغيير الكيان والاتجاه والمشاعر التي يجسدها القلب. وهكذا يذكر الكتاب عن شاول البنياميني لما اختاره الله رئيساً لشعب إسرائيل أنه تحول **"إلى رجل آخر"** وأن **"الله أعطاه قلباً آخر"** (١صم ١٠:٦، ٩).

وفي نبوءات الكتاب عن رجوع إسرائيل في النهاية إلى طريق الحق بعد عنادهم وتقسّيهم، يخاطبهم الله في سفر حزقيال مبشراً **"وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها"** (حز ٣٦:٢٦، ٢٧).

ويصف الكتاب قلب المؤمن بأنه مستقيم (مز ٧:١٠، ١١:٢، ٢٢:١١، ٣٦:١٠، ٦٤:١٠، ٩٤:١٥، ٩٧:١١، ١٢٥:٤)، نقي (مز ٥١:١٠، مت ٥:٨)، وجيد صالح (لو ٨:١٥)؛ بينما قلب الخاطيء معوج (مز ١٠١:٤)، صلب كالحجر (فلا يستجيب أو يتجاوب- أي ٤١:٢٤)، ويعمل بعناد (إر ١٨:١٢)، وينشيء أفكاراً رديئة (أم ٦:١٨)، ويتصرف بغباء (رو ١:٢١) متباعداً عن الله (مت ١٥:٨).

والرب قدم نفسه قدوة لنا في القلب الوديع المتضع **"تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب"** (مت ١١:٢٩). والكتاب يحث قلوبنا على الاستجابة بالطاعة والتوبة **"اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم"** (مز ٩٥:٧، ٨، عب ٣:٨، ١٥، ٤:٧) بعد نسيان الخبرات الروحية السابقة والمحبة الأولى.

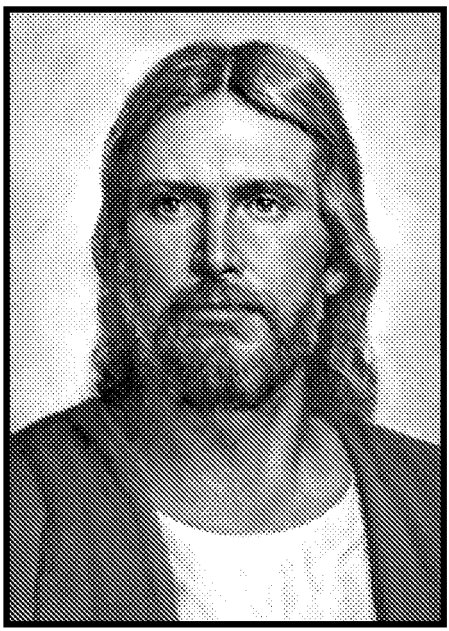

"وديع ومتواضع القلب" (مت ١١:٢٩)

الكتاب وغلاظة القلب

وقد واجه الرب أيام تجسده غلاظة القلب وقساوته ليس فقط ممن قابلوا محبته ودعوته للخلاص بالصدود والتهجّم، بل أيضاً من تلاميذه الذين رأوا آياته ولكنهم كانوا يتصرفون أحياناً كأنهم لم يعرفوه قط:

(١) فوّبخ الرب شعب إسرائيل **"لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون، فقد تمت فيهم نبوة إشعياء** (إش ٦:٩، ١٠) **القائلة "تسمعون سمعاً ولا تفهمون ومبصرون تبصرون ولا تنظرون لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمّضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم"** (مت ١٣:١٣-١٥، يو ١٢:٣٧-٤٠). فغلاظة القلب تعني فقدان الحس والمشاعر وتعطل الفهم بحيث لا تدرك النفس أعمال الله ولا تلتقط كلماته، فتتجاسر عليه بغير خوف وتتزلق إلى مهاوي الشر كالعميان (أف ٤:١٧-١٩). وأشار **معلمنا بولس** إلى نفس النبوة، وهو يسرد لوجوه اليهود في روما نبوات العهد القديم عن المسيح، أمام عدم إيمان البعض، وكيف أن خلاص الله

بالتالي قد أُرسل إلى الأمم (أع ٢٨:٢٣-٢٨).

والكتاب هنا يشير إلى خطورة رفض دعوة الله والإصرار على مقاومة خلاصه، حتى أن الله يعاقب من يتخذ هذا المسلك بالتخلي عنه وتركه في قساوة قلبه فتتعذّر توبته. وهو هنا كتخلّي الروح القدس عمن كانوا يوماً شركاءه واستناروا به وذاقوا الموهبة السماوية وكلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي، ثم تجاسروا وسقطوا، فهم بعد أن أحزنوا روح الله (أف٤:٣٠) لم يبالوا، بل وارتدوا عن الإيمان بإرادتهم وعنادهم، وفي إصرارهم اطفأوا الروح فغمرهم الظلام وأفلتت منهم فرصة التوبة (عب ٦:٤-٦). ولهذا كان التجديف على الروح القدس هو الخطية التي لا تغفر، لأنها الخطية التي حَرَم صاحبها نفسه روح التوبة (مت ١٢:٣١، ٣٢)، حتى إن إشعياء يتضرع من أجل شعبه متوسلاً إلى الله ألا يتركهم ويعود فيقبلهم، فيقول "**لماذا أضللتنا يارب عن طرقك** (لماذا تركتنا نضل)، **قسّيت قلوبنا عن مخافتك** (لماذا تركت قلوبنا تتقسى فلا تخافك)، **ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك**" (إش ٦٣:١٧).

(٢) يسجل الكتاب أكثر من موقف نُعت فيه تلاميذ الرب بغلاظة القلب وبطء الفهم ونسيان أعمال الرب العظيمة وآياته كأنهم لم يروا أو يسمعوا:

أ- فبعد معجزة إشباع الجموع الأولى (مت ١٤:١٤-٢١، مر ٦:٣٠-٤٤، لو ٩:١٠-١٧، يو ٦:١-١٤) طلب الرب من تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوا إلى العبر إلى بيت صيدا حتى يكون قد صرف الجميع (كصاحب البيت الذي يودع ضيوفه!). وبعدما ودّعهم مضى إلى الجبل ليصلي. ولما صار المساء حاصرت الأمواج السفينة وصارت تحت رحمة الريح المضادة. ونحو الهزيع الرابع أتاهم الرب ماشياً على البحر ولكن التلاميذ ظنوه خيالاً فصرخوا. فقال لهم ثقوا. أنا هو. لا تخافوا. وصعد إليهم في السفينة فسكنت الريح "**فبهتوا وتعجبوا في أنفسهم إلى الغاية**" (بسبب قدرة الرب وسلطانه على الريح وأمواج البحر، ولأنهم خافوا رغم كل ما اختبروه عن قدرة

الرب، ومعجزة إشباع الآلاف لم يمضي عليها ساعات) ويسجّل الكتاب عنهم **"لأنهم لم يفهموا بالأرغفة** (أي بمعجزة تكثير الخبز) **إذ كانت قلوبهم غليظة"** (مر ٦:٥١، ٥٢).

ب- وبعد معجزة إشباع الجموع الثانية، يذكر الكتاب أن التلاميذ أخذوا السفينة و"نسوا أن يأخذوا خبزاً". وربما لم يكن لهذه الواقعة من أثر لولا أن الرب حدّثهم محذّراً من خمير الفريسيين (ويقصد رياءهم). ولكن كلمة الخمير ذكّرت التلاميذ بنسيانهم أن يكون معهم خبزاً (إلا رغيفاً واحداً)، وكأنما سقطت من ذاكرتهم المعجزتان اللتان جعلتا قليلاً من الخبزات تكفي الآلاف. فأي قلوب تلك التي تضطرب لغياب الخبز، ومكثّر الخبز للآلاف في وسطهم؟، وهذا ما جعل الرب يقول له مؤنباً **"لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان أنكم لم تأخذوا خبزاً؟ ألا تشعرون بعد ولا تفهمون؟ أحتى الآن قلوبكم غليظة.. ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون.. خمس خبزات الخمسة الآلاف وكم قفة** (من الكسَر) **أخذتم ولا سبع خبزات الأربعة الآلاف وكم سلاً أخذتم.. كيف لا تفهمون؟"** (مت ١٦:٥-١٠، مر٨:١٣-٢١).

جـ- ونحو مساء أحد القيامة اقترب الرب من التلميذين لوقا وكليوباس المتجهيْن نحو قرية عمواس القريبة من أورشليم، اللذين أُمسِكَت أعينهما عن معرفته، وكانا يتكلمان عن الأحداث الأخيرة وحيرتهما إزاء ما قيل عن القبر الفارغ والملائكة المبشرين بقيامته. فقال لهما **"أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء"**. فرغم رفقتهما للرب زماناً وإنبائه للكل مسبقاً بما سيأتي عليه من موت وقيامة، ولكن لما جاءتهما البشارة بَدَيا كأنهما لم يكُنا مع الرب يوماً أو يعرفا الكتب، ومن هنا كان ما وصفهما الرب به واستنكاره لموقفهم باعتبار أن كلام الله لا يسقط **"أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما**

الأمور المختصة به في جميع الكتب (من العهد القديم)" (لو ٢٤:١٣-٢٧).

ولم يختلف موقف الأحد عشر عن موقف تلميذي عمواس، فهم أيضاً لم يصدقوا الذين نظروه قد قام، مما دعا الرب أن يوبّخ "**عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم**" (مر ١٦:١٤). فغلاظة القلب وقساوته هي نوع من الغباء الروحي وجمود الإيمان.

(٣) وأمام تمسك رؤساء المجمع بالحرف والشكل عن روح الوصايا، كان الرب يحزن لأنهم يرون بعيونهم رحمة الله على المحتاجين ولكنهم ينكرونها لأنها تمت في السبت، كأنما حرم الله، مع العمل، حتى فعل الخير. وكانوا يراقبون الرب بعين شريرة هل يشفي في السبت، بدل أن يمجدوا الله أن تمت معجزة شفاء. وقبل أن يشفي الربُ الرجل ذا اليد اليابسة، سأل شيوخ اليهود: هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر. تخليص نفس أو قتل؟". وبدل أن يشهدوا بالحق يقول الكتاب إنهم سكتوا، مما جعل الرب ينظر "**حوله بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم**" (مر ٣:١-٥). فغلاظة القلب تحرم صاحبها من الشهادة للحق، أي من أن يكون تابعاً للمسيح الذي أتى إلى العالم ليشهد للحق (يو ١٨:٣٧).

وغلاظة قلب أكثر شعب إسرائيل ورؤسائه أمر قديم، صلّى من أجله موسى قائلاً: "**يا سيد الرب لا تهلك شعبك وميراثك الذي فديته بعظمتك.. اذكر عبيدك إبراهيم واسحق ويعقوب. لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيته**" (تث ٩:٢٦، ٢٧).

(٤) وكشف القديس بولس أن غلاظة القلب هي كبرقع على قلب كل المتمسكين بحرفية الناموس وبتتميم الفرائض آلياً بغير روح. ولكن هذا البرقع يُرفع فقط عند قبول الرب "**بل أُغلظت أذهانهم، لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه** (الذي كان موسى يصنعه عند نزوله من الجبل حاملاً الوصايا – خر ٣٤:٣٣) **باق غير منكشف الذي يُبطل في المسيح. ولكن حتى اليوم حين**

يُقرأ موسى (أي التوراة) **البرقع موضوع على قلبهم.. ولكن عندما يرجع** (الشعب) **إلى الرب يُرفع البرقع**" (٢كو ٣:١٤، ١٦).

وقساوة القلب يمكن أن تصيب كل الشعوب والناس بابتعادهم عن الله ومن ثم يسهل سقوطهم[١]. فيقول الرسول بولس للمؤمنين الجدد "**لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم إذ هم مظلمو الفكر ومتجنّبون عن حياة الله بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم، الذين إذ هم فقدوا الحس أسلموا أنفسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع**" (أف ٤:١٧-١٩).

كما وصف بالغباء الغلاطيين، الذين بعد إيمانهم استجابوا لدعوى حفظ الناموس وإعماله شرطاً لقبول الإيمان بالمسيح، قائلاً في رسالته لهم "**أهكذا أنتم أغبياء. أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد.. لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة**" (غل ٣:٣، ٥:٦). وهكذا يكون كل مؤمن يتخلى عن السلوك بالإيمان الحقيقي ويتحول إلى التدين الشكلي لإرضاء الذات والناس لا الله.

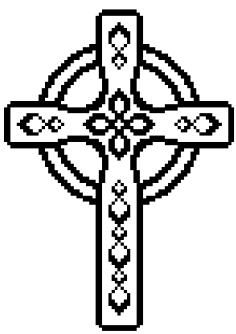

(١) قد ينقذ قساة القلوب المتجبرين من أنفسهم إثارة فزعهم من نهايتهم الأليمة إن لم يرجعوا، متذكرين كلمات الكتاب أن **الله يقاوم المستكبرين** (يع ٤:٦، ١بط ٥:٥). ولعل المشاهد الأليمة لنهايته كثير من لملوك والرؤساء الذين حكموا بالحديد والنار تكون إنذاراً لكل متجبر غليظ القلب.

المؤمن وغلاظة القلب

□ **غلاظة القلب وقساوته** تتنافر مع حياة الإيمان، ولكن فتور الصلاة وهبوط الروحيات بعد نسيان الخبرات الروحية السابقة والمحبة الأولى، وعدم الالتصاق بكلمة الله، والارتداد إلى بعض خطايا الماضي، قد يقسّي القلب ويفقده صبره بل يفرغه من مخافة الله والثقة في مواعيده. فتصدمه التجربة وتحيّره معاملات الله ويسيطر عليه الخوف.

وقد لا تظهر كل هذه التداعيات معاً أو تأتي فجأة، وإنما تتسلل فرادى وعلى مدًى طويل ساد فيه الإهمال والضعف. وقد تأخذ في ظاهرها سمات أخلاقية أو مبدئية، أو كأنها بسبب الغيرة والالتزام، لكن تنكشف حقيقتها باقترانها بتردّي الحياة الروحية وتراجع الالتزام بالإنجيل.

ويرافق هذه التغيرات في نهج الحياة علامات كثيرة نشير فيما يلي إلى بعضها:

+ العناد وعدم الخضوع للحق الظاهر، والاعتزاز حتى بالرأي الخطأ والتمسك به، واعتبار التنازل عنه ماسّاً بالكرامة.

+ تناقص الرحمة والتشفي في المهزوم والفرح في بليّته، وامتلاء القلب بالانتقام والشماتة في الأعداء عند معاناتهم، مع تغطية هذه المشاعر السلبية بإرجاع الأمر للتدخل الإلهي.

+ النقد الشديد الجارح والقاسي حتى لأقرب الناس بغير تحفظ، والتمادي في مؤاخذة من يخطيء دون تقدير لظروفه، تجاهلاً لوصية الكتاب "**أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأُخذ في زلة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً. احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تموا ناموس المسيح**" (غل ٦:١، ٢)، وانسحاباً من تبعية المسيح الذي صادق العشارين والخطاة لانقاذهم. وبينما أحاط الخطاة بالمرأة التي أُمسكت في خطيئتها متحفزين لرجمها بحسب الناموس جاءهم قول الرب "**من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر**" (يو ٨:٧). **والقديس بولس** طالب شعب كنيسة كورنثوس ألا يغالوا في عزل شاب كان قد أخطأ مع امرأة أبيه، وأن يمكّنوا له من المحبة فيسامحونه ويعزّونه (٢كو ٢:٦-٨) فالعقوبة الكنسية ليست مقصودة لذاتها وإنما كتأديب يقود إلى التوبة والحياة.

+ تراجع المحبة واللطف، وضعف القدرة على التسامح والاحتمال والغفران للمسيء، وسهولة الخصام ومقاطعة الأصدقاء.

+ القسوة في التعامل مع الخدم والتعالي على الأفراد الضعيفة في المجتمع.

+ الشدة والخشونة في التعامل مع الزوجة وأفراد العائلة تجاوزاً للوصية "**أيها الرجال أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن.. أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا**" (كو٣:١٩، ٢١). فأن يكون الرجل رأساً للمرأة لا يجعله متسلطاً، لأنه وامرأته صارا في المسيح جسداً واحداً (أف ٥:٢٣، ٣١). (كما يندرج هنا أيضاً سلوك بعض النساء المتّسم بالصدام والعناد والتحدي والاستئثار بالرأي).

+ قد يقع الرؤساء، وخاصة العسكريون، في الشدة والتجبّر وغلاظة القلب، إعمالاً للقانون وردعاً للمخطئين، ولتحقيق الانضباط بحسب رؤيتهم. ولكن يلزم ألا يكون القرار جزافياً متجاهلاً كرامة الإنسان، وإنما مع دراسة كل الظروف والملابسات حتى يكون الحكم عادلاً. والرب قال لمن انتقدوه عندما شفى في السبت **"لا تحكموا حسب الظاهر** (كيفما اتفق) **بل احكموا حكماً عادلاً"** (يو ٧:٢٤).

+ بالنسبة للوالدين الذين يريدون تقويم أولادهم لابد من اختلاط الحزم والشدة بالحب للجميع. فالتخويف والضغط على المخطئين قد يولد الانفجار والانحراف. كما أن الأولاد وهم بعيدون عن رقابة الوالدين سيمارسون استهتارهم لأنهم لم يتغيروا. كما يلزم عدم التمييز في المعاملة بين الأولاد والبنات، أو تمييز أحداً منهم عن الآخرين لأننا بذلك نغرس بذرة الشقاق بينهم منذ البداية. ولا يليق أن تثير أم ابنها على زوجته أو ابنتها على زوجها، وبدل أن تكون صانعة سلام تفتح باباً للكراهية وقسوة القلب التي سترتد عواقبها إليها يوماً.

□ قلب المؤمن المسيحي مثل قلب سيده المحب المتحنن اللطيف الرقيق حتى المنتهى. الغلظة والقسوة والشدة غريبة على المؤمن الحقيقي. فقلبه قلب لحم وليس من حجر، ومن هنا فهو يشفق على غيره ويلتمس الأعذار لمن يزل كي يشجعه على النهوض. وهو قريب من المتألمين والمجروحين يشاركهم محنتهم بمشاعره وحمل الأعباء معهم. وإذا كان الرب قد ساق مثل **السامري الصالح** ليجسّد محبته للبشر، وأنه للإنسان الزق من أخيه، فهذا ما ينبغي ان يكون عليه تابعوه **"فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين"** (رو ١٢:١٥). وهو في رقته وتحننه يسع قلبه الكل: القريب والغريب، الصديق والعدو، والإنسان والحيوان. بل أن الإنسان يصير أكثر إنسانية بقدر ما يعتبر كل البشر إخوته المنحدرين جميعاً من أب واحد وأم واحدة. وإنما بالتعصب والكراهية، واستبعاد الآخر،

وعدم القدرة على التعايش، والاستئثار بكل شيء وحرمان الآخر، ينسلخ الإنسان من إنسانيته التي وهبها له الله ليصير كائناً وحشياً متغرباً عن أصله وفاقداً لسعادته الحقيقية التي يختبرها فقط عندما يتقاسم حياته مع غيره.

ولينتبه كل مؤمن فاحصاً قلبه وتصرفاته، لئلا يكون قد داخَله غلظة أو قسوة أو تعنت أو عناد أو تعالٍ أو تمييز أو شدة مبالغ فيها أو خشونة أو إدانة لأي سبب أو مبرِّر فهذا كله ضدّ الإيمان، ولابد من الرجوع وطلب معونة روح المحبة والرحمة واللطف والوداعة وطول الأناة لينقي القلب مما يلوثه **"قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي"** (مز٥١: ١٠).

الرياء، الهم، القلق، الشك، الخوف، حزن العالم وغلاظة القلب، كانوا بعض ما قد يقتحم حياة المؤمن معكّراً صفو إيمانه، وهم خصوم صراح للإيمان الحق. وقصدنا مما عرضناه أن نلقي الضوء عليهم ونكشف أضرارهم حتى يمتحن المؤمن نفسه (١كو ١١: ٢٨، ٢كو ١٣: ٥، غل ٦: ٤) ويتيقن من نقاوة إيمانه. أما إذا أدرك تسلل واحد منهم فالتخلص منه ضمان لسلامة إيمانه ونموه وزيادة مناعته ضد أمثاله.

وبالطبع فالخصوم كثيرون، وإبليس عدونا يجول كأسد زائر حولنا ملتمساً من يبتلعه. والكتاب يوصينا أن **"قاوموه راسخين في الإيمان"** (١بط ٥: ٩). ولكن من نعمة الله أنه بقدر الخصوم يوجد الرفاق، بل هم أكثر، الذين يثرون حياة المؤمن رجاءً ومحبة وفرحاً وسلاماً وصبراً وتوبةً وتراحماً وقبولاً للآلام وغيرهم وغيرهم.

فلنجاهد، ملقين رجاءنا على النعمة (١بط ١: ١٣)، كي نهزم خصوم إيماننا ونستزيد من رفاقه خلال مسيرة حياتنا **"ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع"** (عب ١٢: ٢).

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : **في السلوك المسيحي**
التدين المضاد...ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثاني : **عـن المسيـــح**
يسوع المسيح الشفيع الكامل... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثالث : **المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**
عثرة الصليب ... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الرابع : **شخصيات كتـــابيـــة**
١- القديس بطرس .. أول التلاميذ
٢- القديس بولس .. آخر الرسل (طبعتان)

الكتاب الخامس : **قضـــايـــا إيمـــانيـــة**
المسيح يعرفنا عن ذاته ... ومقالات أخري

الكتاب السادس : **في السلوك المسيحي (٢)**
نحن والصليب والخلاص ...ومقالات أخري

الكتاب السابع : **قضايـــا إيمانيـــة (٢)**
قضية الشفاعة ...ومقالات أخري

الكتاب الثامـن : **في السلوك المسيحي (٣)**
ضبط النفس ...ومقالات أخري

الكتاب التاسع : **في السلوك المسيحي (٤)**
رفاق الإيمان وخصومه

فهرس بمحتويات كتب السلسلة

الكتاب الأول : في السلوك المسيحي (١)

١ – عندما يضيع الطريق
+ التدين المضاد
٢ – مخاوف البداية وأخطارها ٣١
+ قبلات العدو ٣٢
+ حملان وسط ذئاب ٤٠
٣ – هو الطريق ٤٥
+ اتبعنى ٤٦
+ بذل الذات ٥٥
٤ – التزامات الإيمان ٦٣
+ حياة التدقيق ٦٤
+ النمو ضرورة إيمانية ٧٩
+ قضية الغفران بين عمل الله وعمل الإنسان ٨٨
+ الموضع الأخير ٩٧
+ كيف نطلب وكيف يستجيب؟ ١٠٤
+ هل تختلف آلام المؤمنين ؟ ١١٠
+ مواقف لاختبار الإيمان ١٢٠
٥ – ثمار الحياة المسيحية ١٢٧
+ افرحوا ١٢٨
+ جدية الحياة المسيحية ١٣٩
+ الإيجابية سمة مسيحية ١٥٠
٦ – محاذير فى الطريق الروحى ١٦٥
+ ساعة الضعف ١٦٦

الكتاب الثاني : عن المسيح

١ – الميلاد ٩
+ ظلال الصليب على أحداث الميلاد ١٠
٢ – ما قبل الصليب ٢١
+ المسيح يعلم عن التوبة ٢٠
+ إقامة لعازر من الموت .. إعلان مبكر عن قيامة الحياة ٤٠
+ الحديث الأخير والصلاة الأخيرة ٤٧
٣ – الصليب ٥٧
+ المسيح فصحنا ٥٨
+ المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة ٦٦
+ نعم...جاء ليموت كي يهبنا الحياة ٨٠
٤ – القيامة والصعود ٨٩
+ القيامة والخلاص ٩٠
+ القيامة والحياة الأبدية ٩٧
+ المهام الأخيرة ١٠٥
+ الصعود الإلهي بين عمل المسيح وحياة المؤمنين ١١٧
٥ – ما بعد القيامة والصعود ١٢٧
+ يسوع المسيح الشفيع الكامل ١٢٨
٦ – شمس البر ١٣٧
+ المسيح نور العالم ١٣٨
+ المسيح كلي الوجود ١٤٧
+ المسيح كلي المعرفة ١٥٤
+ المسيح كلي القدرة ١٧٠
٧ – قضية المسيح ١٨٧
+شهادة صحفي على صدق كلمة الله ١٨٨

الكتاب الثالث : المسيح في حياة الكنيسة والخدمة

١ – **الله ظهر في الجسد** ٩

+ وعلى الأرض السلام ١٠

٢ – **المسيح يقدم إلى الهيكل** ١٣

+ عيد التكريس للرب ١٤

٣ – **المسيح يبارك أرضنا** ٢١

+ العائلة المقدسة في مصر ٢٢

٤ – **صوم نينوى** ٣٥

+ الكنيسة وصوم نينوى ٣٦

+ أعظم من يونان ٤١

٥ – **عيد الصليب** ٤٧

+ الصليب في حياة المؤمن ٤٨

٦ – **الصوم الكبير وأسبوع الآلام** ٥٧

+ قراءة في أناجيل الصوم الكبير ٥٨

+ اسبوع الآلام وآفاقه الروحية ٦٤

+ عثرة الصليب ٧١

+ حول الترتيبات الطقسية لأسبوع الآلام

٩٦

٧ – **القيامة والكرازة** ١٠٧

+ القيامة والكرازة ١٠٨

+ قوة من الأعالي ١١٨

+ أتحبني ... ارع خرافي ١٢٧

٨ – **المسيح موضوع الكرازة والخدمة** ١٣٥

+ لمحات من الكنيسة الأولى ١٣٦

+ العمل الإلهي في الخدمة ١٥٧

+ الأرض الجيدة ١٦٥

+ عن خدمة المسيحي ١٧٣

الكتاب الرابع : شخصيات كتابية

القديس بطرس ... قصة حياة نسجتها النعمة ٩

١ – من صيد السمك إلى صيد الناس ١١

+ البداية ١٢

+ الرفيق القريب ١٤

+ الصريح في الإيمان ١٦

+ صاحب التساؤلات ١٨

+ اندفاعات عاطفية ٢٠

+ النكسة ورد الاعتبار ٢٣

+ الوصايا الأخيرة ٢٦

٢ – القديس بطرس يقود الكنيسة الوليدة ٢٩

+ القديس بطرس يأخذ المبادرة ٣٠

+ القديس بطرس يتوشح بالقوة فيتألق ٣١

+ شهادة قوية ٣٣

+ لا لخدمة السيدين ٣٥

+ الآلام الأولى ٣٧

+ الروح يساند بالمعجزات ٣٨

٣ – خادم الأمم أيضاً ٣٩

+ إلى الأمم ٤٠

+ الرسولان بطرس وبولس ٤٢

٤ – الكلمات الأخيرة ٤٥

+ رسالتان ٤٦

٥ – إلى المجد ٥١

+ الشهيد ٥٢

القديس بولس ... آخر الرسل ٥٥

١ – المسيح يختار تلميذه الثالث عشر ٥٧

+ شاول (بولس) يدخل التاريخ المسيحي ٥٨

+ الرب يواجه شاول ٦١

+ رواية القديس بولس عن تحوله ٦٥

٢ – خدمة القديس بولس ٦٧

+ عودة إلى البدايات ٦٨

+ كرازته ورحلاته ٧٢

+ العودة إلى أورشليم ٨٧

+ إلى روما ٩٠

+ ما بعد سفر الأعمال ٩٤

+ القديس بولس شهيداً ٩٨

٣ – منهج القديس بولس في الخدمة ١٠١

+ لا أنا ... بل المسيح ١٠٢

٤ – القديس بولس معلم الكنيسة ١١١

+ الخلاص في رسائل القديس بولس ١١٢

+الثالوث الأقدس في رسائل القديس بولس١٢٤

+مبادئ القديس بولس الروحية والاجتماعية ١٣٣

+ في النظام الكنسي ١٤٧

٥ – القديس بولس ينبئ عن المستقبل ١٨١

+ اليهود والمسيح ١٨٢

+ المجئ الثاني للرب والقيامة الأخيرة ١٩٦

الكتاب الخامس : قضايا إيمانية (١)

- **– قضية الإيمان المسيحي** ٩
  - + المسيح يعرفنا عن ذاته ١٠
- **– قضية الخلاص** ٥٣
  - + المعاني المختلفة للخلاص في الكتاب ٥٤
  - + هبة الحياة الأبدية للمؤمنين ٦٩
  - + عن الإيمان والأعمال ٨٢
  - + عن المجازاة ١٢١
- **– قضايا المسيحى والعالم** ١٣٧
  - + قضية الاضطهاد ١٣٨
  - + قضية التسامح ١٥٠
- **– قضية الملكوت** ١٦٣
  - + ملكوت الله..والإنسان ١٦٤

الكتاب السادس : في السلوك المسيحي (٢)

- **– نحن والتجسد** ٩
  - + التجسد والإنسان الجديد ١٠
  - + تجديد الحياة ٢١
- **– نحن والصليب** ٣١
  - + نحن والصليب والخلاص ٣٢
- **– نحن والقيامة** ٣٩
  - + القيامة وحياتنا العملية ٤٠
  - + معنا ولا نشعر به ٤٧
- **– نحن والشهادة للمسيح** ٥٥
  - + نحن أيضاً تلاميذ ٥٦
  - + عندما يأتي الموت ٦٢
- **– نحن وحياتنا الروحية** ٧١
  - + الروح القدس .. روح الحياة ٧٢
  - + البعد الداخلي للحياة الروحية ٧٥
  - + دعوة للاتضاع ٨٣
  - + حياة الشكر ٩٤
  - + الحياة في النور ١٠٠
  - + الميل الثاني ١٠٦
  - + الصوم المسيحي ١١٤
  - + انسى ولا انسى ١٢١
  - + المسيحي في مجتمع مضاد ١٢٨
  - + شباب خارج الأبواب ١٣١

الكتاب السابع : قضايا إيمانية (٢)

- **– قضية الصلاة والعبادة** ٩
  - + قضية الصلاة ١٠
  - + العبادة والتسبيح ٣٦
  - + العبادة واللغة ٥١
  - + القداس الإلهي..السماء علي الأرض ٦٤
  - + بين السبت والأحد ٦٨
  - + الناموس والأنبياء وعهد النعمة ٧٣
- **– قضية المؤمن والكنيسة** ٧٩
  - + الانتماء للكنيسة، مسئولية مشتركة بين الكنيسة والمؤمن ٨٠
  - + الكنائس التقليدية ورياح التغيير ٩٣
- **– قضية الشفاعة** ١٠٥
  - + قضية الشفاعة ١٠٦
- **– قضية الإنسان والحياة والزمن** ١٤٥
  - + رؤية مسيحية للجسد ١٤٦
  - + رؤية مسيحية للحياة والوجود ١٥٦
  - + الله والإنسان والزمن ١٦٧
  - + الإنسان وكوارث الطبيعة ١٧٨

الكتاب الثامن : في السلوك المسيحي (٣)

- **– أثقل الناموس** ٩
  - + أثقل الناموس .. الحق والرحمة والإيمان ١٠
  - + الحق ١٥
  - + الرحمة ٢٠
  - + رحمة لا ذبيحة ٢٧
  - + الإيمان ٤٠
- **– أمانة الله وأمانتنا** ٥٩
  - + أمانة الله ٦٠
  - + كن أميناً ٦٩
- **– ألوان من التعب** ٩١
  - + تعب وتعب ٩٢
- **– ضبط النفس** ١٠٥
  - + ضبط النفس ١٠٦
  - + ضبط الفكر ١١٢
  - + ضبط الحواس ١١٨
  - + ضبط الانفعال ١٢٩
  - + ضبط الشهوات ١٤١
- **– عن الصداقة** ١٥٧
  - + الصداقة من منظور كتابي ١٥٨

سطور من هذا الكتاب

الرجاء المسيحى أحد الأعمدة الرئيسية فى الحياة المسيحية التى تتجاوز أمور هذا الزمان وأشياءه ومسراته، وبه نقفز من الحاضر إلى المستقبل، ومن الواقع الحاضر المشحون بالضيق والألم والحزن الى أنفراجة الغد القريب أو البعيد المملوء فرحاً.

الرجاء المسيحى يكتسب فرادته وقوته وحيويته وثباته من استناده المباشر لا إلى شيئ أو شخص، وإنما الى الرب محب البشر وعمله وخلاصه، وبالثقة به وفى وعوده الثابتة التى لا يمكن أن تسقط أو يقف أمامها عائق.

الرجاء المسيحى هو خيط الحياة الذى يجعل مصيرنا ومآلنا لا وهماً من الأوهام أو أمراً فى دائرة التمنى، وإنما حقيقة واقعة قد بدأت منذ أن آمنّا. هو مثل الحبل الذى يمسك به العامل فى قاع بئر سحيق ليضمن سلامته عند الخطر، أوالذى يربط السفينة التى تتأرجح بين الأمواج بالشاطئ. إنه المرساة المؤتمنة والثابتة (عب ٦:١٩) للنفس المجاهدة فى خضمّ الحياة، فيمنح اليقين ببلوغ الهدف السعيد.

غياب الرجاء معناه التيه ومضاربة الهواء عن غير يقين والتخبّط فى برية الزمن . معناه أن تقف وحيداً مع الألم و الفشل والحزن والمرض والسقوط، وتصير الحياة عبئاً لا يطاق، والجهاد تعباً باطلاً.

نور الحياة